

مختصر
نالخ البصرة
مختصر

تأليف
هـدلى ظرفى (اللؤظمى)

تقديم وتمحقق
عزة رفعت

الناشر
مكتبة الشفافة الدينية

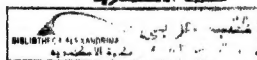
مختصر نسخ البصرة

تأليف
علي ظريف الأعظمي

بقديم وتحقيق
عزة رفعت

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٧٢٢٨٦

رقم القيد

٥٢٦ ش بورسعيد - القاهرة

ت. ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس ٥٩٢٢٢٧٧

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
مكتبة الثقافة الدينية



مقدمة المؤلف

لما كان الأقبال على المباحث التاريخية يزداد يوماً فيوماً في قطرنا المحبوب وكانت رغبة النشر الجديد كثيرة في الأسفار التاريخية والمصنفات العلمية وكانت مدينة البصرة من المدن الإسلامية الكبرى التي لها شأن عظيم في تاريخ العرب، وتسهيلاً للقراء جعلته فصلين يتضمن الأول منهما ذكر ما تمكنت من جمعه من تاريخ البصرة القديمة منذ تأسيسها إلى حين خرابها وما حدث فيها من الانقلابات السياسية والوقائع الحربية والتغيرات الإدارية وغيرها. ويبحث الثاني عن تاريخ البصرة الحديثة (الحالية) منذ عمرت حتى انقراض الدولة العثمانية.

ولما كانت معترفاً بقلّة بضاعتي أرجو ممن يجد لي هفوة أو زلة أن يرشدني إلى الصواب لأصلح موضع الخطأ في طبعة أخرى.

كما أني أرجو من القراء أن يعذروني عن ذكر الحوادث التي حدثت بعد أفول هلال دولة الأتراك لما أخشاه من الوقع في شرك يصعب على التخلص

الفصل الأول

البصرة القديمة

تمهيد :

كان في عهد الدولة الساسانية الفارسية (٢٢٦ م - ٦٥١ م)^(١) في جنوبي العراق بين دجلة وكارون إمارة فارسية تسمى إمارة ميشان^(٢) كان مركزها بلدة ميشان على الخليج الفارسي بأسفل موضع البصرة، وكانت هذه الإمارة تضم بلدة ميشان ومدينة الابله وعدة حصون ومواضع كان لبعضها أسماء فارسية وبعضها أسماء عربية منها المسلحة التي سماها العرب بعد خراجها الخريبة^(٣) ومنها

(١) انقرضت هذه الدولة بقتل يزيد جرد الثالث في سنة ٦٥١ م في خلافة عثمان بن عفان ومدنًا (٤٢٥) سنة ولكنها ملكت العراق ٤١١ تقريباً (٢٢٦ م - ٦٣٧ م) وقد انقرضت من هذا القطر في سنة (٦٣٧ م) ، على يد القائد الإسلامي سعد بن أبي وقاص في أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) سماها بعضهم برات ميشاء وكرخاديشان وسماها اليونان خاراك أو حارك وسماها العرب دسست ميسان وميشان ، في لواء البصرة اليوم مزرعة كبيرة فيها بساتين لآل الزهير على النهر المعروف بكرمة على شمال البصرة القديمة تسمى ميشان ومن المحتمل أنها موقع ميشان القديمة أو أنها سميت باسمها والراسخون بهذا العلم أعلم .

(٣) وسمى بعضهم دهيشنا باذارديشر ويقال أنها كانت مدينة قديمة للفرس وكان لها عدة أسماء وكان قصر للمرزبان.

السنى والحفسير والمضيق وغيره^(١) وكانت تلك الإمارة أو ذلك الثغر أعظم ثغور
الفرس وأشدّها شوكة في ذلك العهد وكان عليها في عهد الملك أردشير الثالث بن
شرويه^(٢) قائد فارسي اسمه هرمز وهو ممن تم شرفهم عند الفرس في ذلك العصر.
وفي الوقت الذي كانت المملكة الفارسية قد تزعزعت أركانها من توالى
الفتن الداخلية المستعرة نيرانها في كل جهة من جهاتها في الوقت الذي كان القائد
العربي المثنى بن حارثة الشيباني^(٣) يغير فيه بمجموعة على ناحية الحيرة في أيام

(١) السنى ثغر قرب موضع البصرة كان فيه ماء والمضيق أسم مكان قريب من موقع البصرة.

(٢) وأردشير هذا هو ابن شرويه بن كسرى أبريز وقد تولى سنة ٦٢٩ م وكان طفلاً
فحكم مدة قصيرة ثم قتل.

(٣) هو المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني صحابي فاتح من كبار القادة ، أسلم سنة ٩ هـ
وغزا بلاد الفرس في أيام أبي بكر ، فتناقل الناس أخباره ، فسأل أبو بكر من هذا الذي
تأتينا وقائعه قيل معرفة نسبه ؟ فقال قيس بن عاصم : أما إنه غير خامل الذكر ، ولا
مجهول النسب ، ولا قليل العدو ، ولا ذليل الغارة ، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني ثم
وفد على أبي بكر فأكرمه وأمره على قومه . وعاد يغير على سواد العراق (وهو أول
من فعل ذلك من المسلمين) فأمدّه أبو بكر بخالد بن الوليد فكان بدء الفتح ، ولما ولي
عمر أمدّه بجيش عليه أبو عبيد بن مسعود الثقفي (والد المختار) فكانت وقعه " قس
الناطق " وقتل أبو عبيد وجرح المثنى فأمدّه عمر بجيش يقوده سعد بن أبي وقاص وشهد
المثنى عدّة وقائع بعد شفائه فأنقضت عليه جراحته ، فمات قبل وصول سعد
إليه سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م .

انظر المزيد في : الإصابة ت ٧٧٢٢ ، البداية والنهاية ٩/ ٤٩ ، جمهرة الأنساب

٣٠٥ ، ابن العبري ١٧١ - ١٧٢ .

الخليفة الأول أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة ^(١) رضى الله عنه ، كان قطبة بن قتادة السدوسى ^(٢) يغير بمجموعة على ناحية إمارة ميشان أو ناحية المنطقة التى بها لواء البصرة اليوم ^(٣) .

وكان الخليفة الأول ^(٤) قد علم بالأضطرابات المتوالية التى كانت فى مملكة الفرس وكان يفكر فى فتح بلادهم ومستعمراتهم ولكنه كان مشغولاً حينذاك بقتال المرتدين فلما فرغ من حرب المرتدين. ودانت له جزيرة العرب عزم على فتح العراق وكب فى أواخر سنة ١١ هـ الموافقة لسنة ٦٣٢ م إلى القائد الكبير خالد ابن الوليد ^(٥) - وهو يومئذ باليمامة - يأمره أن يسير بجيشه إلى العراق لنشر

(١) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، أفضل الأمة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤنه فى الغار وصديقه الأكبر ووزيره الأكرم عبد الله بن أبي قحافة القرشى السيمى ، كان أول من احتاط فى قبول الأخبار ، مات سنة ١٣ هـ وله ٦٣ عاماً .
انظر المزيد فى : أسد الغابة ٣ / ٣٠٩ ، تاريخ الخلفاء ٢٧ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢ ، شذرات الذهب ١ / ٢٧ ، طبقات الفقهاء ٣٦ ، العبر ١ / ١٦ ، مروج الذهب ٢ / ٣٠٥ .

(٢) ورد ذكره فى مروج الذهب وتاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ والمختصر فى أخبار البشر .

(٣) ويروى أن سويد بن قطبة الدهلى كان يغير فى تلك الناحية .

(٤) تولى الخلافة فى ٥ ربيع الأول سنة ١١ هـ ، الموافقة سنة ٦٣٢ م ومات فى ٢٢ جمادى الثانى سنة ١٣ هـ الموافقة ٢٢ أغسطس سنة ٦٣٤ م ، وتولى بعده عمر وقتل فى ٣٩ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ الموافقة سنة ٦٤٤ م بعد أن فتح عدة أقطار ووسع المملكة الإسلامية .

(٥) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى القرشى سيف الله الفتاح الكبير الصحابى ، كان من أشرف قريش فى الجاهلية، يلى أعنه الخيل وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام =

الدعوة والفتح وأن يبدأ بنهر الهند وهو الابله^(١) وأن يستنفر من قاتل أهل الردة وأن لا يستعين بمرتد ، وكتب بمثل ذلك إلى عياض بن غنم^(٢) ولكنه أمره أن يبدأ بالمضيح ويدخل العراق من أعلاه ويسير حتى يلتقى بخالد ، وكتب إلى المنفى وأصحابه (حرملة ومعذور وسلمى) يأمرهم أن يلحقوا بخالد بالابله وكان يومئذ

= إلى عمرة الحديبية وأسم قبل الفتح (مكة) هو وعمرو بن العاص سنة ٧ هـ ، فسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه الخيل . ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسلمية ومن أرتد من أعراب نجد . ثم سيره إلى العراق سنة ١٢ هـ ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه . وحوله إلى الشام وجعله أمير من فيها من الأمراء ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام وولى أبا عبيدة بن الجراح فلم يشن ذلك من عزمه واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تم لهما الفتح سنة ١٤ هـ فرحل إلى المدينة فدعاه عمر ليوليه ، فسأى ومات بمحصر في سورية سنة ٢١ هـ / ١٤٢ م وقيل بالمدينة ، كان مظفراً خطيباً فصيحاً يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصنعه . قال أبو بكر : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً . وأخباره كثيرة . انظر المزيد في : الإصابة ١ / ٤١٣ ، تهذيب ابن عساكر ٥ / ٩٢ - ١١٤ ، صفة الصفوة ١ / ٢٦٨ ، تاريخ الخميس ٢ / ٢٤٧ ، ذيل المدخل ٤٣ .

(١) الابله مدينة كانت على نهر الابله بين البصرة والخليج الفارسي وكانت مرفأ السفن من الهند ونفعر من نفور الفرس وكانت عامرة كثيرة البساتين وقد فتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ هـ ، وبقيت عامرة في أيام الخلفاء الراشدين وأيام الأمويين ثم خربت في سنة ٢٥٦ هـ في أيام العباسيين .

(٢) هو عياض بن غنم بن زهير الفهري قائد من شجعان الصحابة وغزاقم ، أسلم قبل الحديبية وشهد بدرأً وأحدأً واخندق ونزل الشام وفتح بلاد الجزيرة في أيام عمر وهو أول من اجتاز " الدرب " إلى الروم غازياً وكان يقال له " زاد الراكب " لكرمه . توفى بالشام أو بالمدينة وهو ابن ستين سنة ، مات سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م .

انظر المزيد في : الإصابة ت ٦١٤٢ ، صفة الصفوة ١ / ٢٧٧ ، فتح البلدان ١٧٩ .

يغشون على ناحية الحيرة، فسار خالد بن الوليد بمن معه في أوائل محرم سنة ١٢ هـ وسار عياض بمن معه أيضاً في الوقت نفسه ثم كتب كل منهما وهما في الطريق يستمدان الحليفة ، فأمد خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي ^(١) وأمد عياضاً بعبد بن غوث الحميري. ثم التقى خالد وعياض بأرض العراق في الجهة الجنوبية منه وكان مجموع من معهما عشرة آلاف مقاتل ثم أنضم إليهما المشي وأصحابه وكانوا ثمانية آلاف مقاتل فبلغ الجيش الإسلامي ثمانية عشر ألف مقاتل.

ولما تكامل الجيش العربي جعله خالد ثلاث فرق . الأولى وهي المقدمة جعل عليها المشي بسن حارثة ، والثانية جعل عليها عدى بن حاتم ^(٢) ، والثالثة قادها بنفسه. وسر الأولى ثم الثانية ووعدهما الحفير ولم يحملهم على طريق واحد ثم سار هو في طريق آخر وقرر مصادمة الفرس في الحفير .

(١) هو القعقاع بن عمرو التميمي أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام . له صحة شهيد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس . وسكن الكوفة وأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي . وكان يتقلد في أوقات الزينة سيف هرقل " ملك الروم " ولبس درع هرام " ملك الفرس " وهما لما أصابه من الغنائم في حروب فارس . وكان شاعراً فحلاً . قال أبو بكر : صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل . مات سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م . انظر المزيد في : الإصابة ت ٧١٢٩ .

(٢) هو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الخثرج الطائي أبو وهب وأبو طريف أمير صحابي من الأجداد العقلاء . كان رئيس طي في الجاهلية والإسلام . وقام في حرب الردة بأعمال كسيرة حتى قال ابن الأثير : غير مولود في أرض طي وأعظمه بركة عليهم . وكان إسلامه سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي وفقت عنه يوم صفين ومات بالكوفة سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ م . روى عنه الخدثون ٦٦ حديثاً . عاش أكثر من مائة سنة وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بمجوده المثل .

انظر المزيد في : الإصابة ت ٥٤٧٧ ، حسن الصحابة ٣٨ ، خزائن البغدادى ١ / ١٣٩ ، الروض الأنف ٢ / ٣٤٣ ، إمتاع الأصناف ١ / ٥٠٩ ، رغبة الأمل ٦ / ١٣٥ .

وقعة الحفير

بعد أن عسباً خالد جيوشه وسيرها إلى الحفير سمع القائد هرمز أمير ميسان بقدمهم فكتب إلى كسرى بالخبر وطلب منه النجدة وسار بمن معه إلى الكواظم^(١) ثم سمع أن المسلمين تواعدوا الحفير فسبقهم إليه ونزل به ، فسمع خالد بهم فزول بقرهم وكتب إلى هرمز يقول :

(أما بعد فأسلم تسلم أو أعقد لنفسك وقومك الذمة وإقرر الجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) فاختار هرمز الحرب وبعث بكتاب خالد إلى كسرى وجمع جموعه وقبياً للحرب وعسباً كل من خالد وهرمز جيشه ثم التحم القتال بين الفريقين فانهلت المعركة عن إغرام الفرس وقتل قائمهم هرمز وغنم المسلمون أموالهم وذلك في محرم سنة ١٢ هـ وهذه أول وقعة حدثت في العراق بين المسلمين والفرس وتسمى وقعة الحفير وذات السلاسل (لأن الفرس أقتنوا بالسلاسل لئلا يفر منهم أحد)^(٢)

(١) الكواظم جمع كاظمة وهي مدن قديمة كانت عند خليج الكويت .

(٢) ويسرى أن أول وقعة حدثت في كاظمة ثم تلتها وقعة الحفير وقبل أن المعركة الثانية حدثت في الثاني على أن بعض المؤرخين يزعم أن أول مكان وصل إليه خالد في العراق بلاد بانقيا وباروسما والليس والراجح ما ذكرناه وأنه بعد أن صالح أهل الحيرة على مال قاتل الفرس وفاز عليهم في كل المعارك ثم سار إلى الشام سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م بأمر الخليفة الأول وترك في العراق نصف الجيش واستخلف عليه الثاني بن حارثة ثم تولى القيادة العامة أبو عبيدة ثم الثاني مرة ثانية ثم سعد بن أبي وقاص وعلى يده تم فتح العراق في سنة ١٦ هـ ، سنة ٦٣٧ م .

وقعة الثنى

لما أنهى خالد من وقعة الحفير أرسل الثنى بن حارثة في آثار الفرس المنهزمين وسار هو بمن معه حتى نزل موضع الجسر الأعظم عند موقع البصرة . وكان ملك الفرس لما وصله كتاب هرمز يخبره بقدوم الجيش الإسلامى ويطلب منه النجدة قد أمد هرمزاً بجيش تحت قيادة قارن بن قريانس . فلما وصل المنار^(١) لقيهم المنهزمون فأجتمعوا وتوقفوا قليلاً ثم ساروا فزلوا الثنى ، فسمع بجميعهم خالد فتهاً للاقايم وسار إليهم فأقتل الفريقان وكانت معركة هائلة قتل فيها عدد كبير من الفرس فيهم قائدهم قارن وهو ممن تم شرفه عند الفرس كهرمز . وكانت الفنائم في هذه الوقعة كثيرة وسبى المسلمون فيها عيالات المقاتلة^(٢) وسميت وقعة الثنى وقد حدثت في أوائل صفر سنة ١٢ هـ .



(١) المنار قصبة وقيل بلدة بالقرب من واسط بينهما وبين البصرة أربعة أيام إلى الشمال .

(٢) وكان في السبى يومئذ الحسن البصرى وكان نصرانياً .

مسير خالد إلى الشمال

بعد أن فرغ خالد من وقعة الثقي أمر على قسم من جيشه سعيد بن النعمان وسيره إلى الحفير وأمره بالزول هناك وأقام هو في قسم من جيشه في الثقي يترقب أخبار الفرس ويترصدهم حركاتهم. ثم ارتأى بعد أيام قليلة أن يسير نحو شمال البصرة مما يلي الفرات للتوغل في البلاد العراقية فجمع جيوشه وسار بهم بعد أن ترك حامية في موضع البصرة أو مما يلي تلك المنطقة لاشغال من هناك من الفرس^(١). والظاهر أنه أمر على تلك الحامية قطبة بن قتادة لأن قطبة كتب بعد موت أبي بكر إلى عمر بن الخطاب^(٢) رضى الله عنه يعلمه مكانه ويقول له : لو كان معه عدد كاف لظفر بمن كان قبله من الفرس فنفاهم عن بلادهم. فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر ووجه إليه شريح بن عامر أحد بني سعد بن بكر فلما وصل شريح

(١) لما كانت حروب خالد وانتصاراته لا علاقة لها في تاريخ البصرة تركنا ذكرها.

(٢) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص العدوي الفاروق وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أيد الله به الإسلام ، وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملمم وهو الذي سن للمحدثين التثبيت في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ، وأستشهد أمير المؤمنين عمر في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين وعاش نحو ستين سنة .

انظر المزيد في : أسد الغابة ٤ / ١٤٥ ، الإصابة ٢ / ٥١١ ، تاريخ الخلفاء ١٠٨ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٥ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩ ، شذرات الذهب ١ / ٣٣ ، طبقات الفقهاء ٣٨ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٥٩١ ، العبر ١ / ٢٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣١٢ ، النجوم الزاهرة ١ / ٧٨ .

ترك قطبة في موضعه ومضى إلى الأهواز لغزو الفرس فقتلوه وظل قطبة يغير على تلك الجهات إلى أن أرسل عمر سعد بن أبي وقاص^(١) قائداً عاماً على الجيش الإسلامي فأرسل سعد بعد وقعة القادسية الشهيرة التي مزقت الفرس في محرم سنة ١٤ هـ عتبة بن غزوان المـسازني^(٢) إلى جهة موضع البصرة بأمر الخليفة

(١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو إسحاق الصحابي الأمير فاتح العراق ومدائن كسرى وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة ويقال له فارس الإسلام ، أسلم وهو ابن ١٧ سنة ، وشهد بدرأً وفتح القادسية ونزل أرض الكوفة فجعلها خططاً لقبال العرب ، وأبني بها داراً فكثر الدور فيها وظل والياً عليها مدة عمر بن الخطاب وأقره عثمان زماناً ثم عزله فعاد إلى المدينة فأقام قليلاً وفقد بصره وقالوا في وصفه : كان قصيراً دحداحاً ، ذا هامة ، شئن الأصابع ، جعد الشعر ، مات في قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل إليها سنة ٥٥ ق.هـ / ٦٧٥ م له في الصحيحين ٢٧١ حديثاً .

انظر المزيد في : الرياض النضرة ٢ / ٢٩٢ - ٣٠١ ، تاريخ الخميس ١ / ٤٩٩ ، تذيب التهذيب ٣ / ٤٨٣ ، البدء والتاريخ ٥ / ٨٤ ، الجمع ١٥٧ ، صفوة الصفوة ١ / ١٣٨ ، حلية ١ / ٩٢ ، تذيب ابن عساكر ٦ / ٩٣ ، نكت الحميان ١٥٥ ، الكنى والأسماء ١ / ١١ ، طبقات ابن سعد ٦ / ٦ ، الإصابة ت ٣١٨٧ .

(٢) هو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب الحارثي المازني أبو عبد الله باني مدينة البصرة صحابي قديم الإسلام . هاجر إلى الحبشة وشهد بدرأً ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص . ووجهه عمر إلى أرض البصرة والياً عليها وكانت تسمى " الأبله " أو أرض الهند فأخطها عتبة ومصرها . وسار إلى ميسان وأيزقباد فافتحتها . وقدم المدينة لأمر خاطب به أمير المؤمنين عمر ، ثم عاد فمات في الطريق سنة ١٧ هـ ، ٦٣٨ م ، وكان طويلاً جميلاً من الرامة المملودين . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث .

الثاني^(١) عمر فما وصل عتبة بمن معه نزل حيال الجسر الصغير فبلغ صاحب
الفرات قدومه فأقبل لقتاله بمجموعه . فتزاحف الفريقان وحدث بينهما معركة
عنيفة انجلت عن إنكسار الفرس ووقع قائلهم أسيراً بيد عتبة .

فتح الابلّة

بعد أن هزم عتبة حامية الفرس مراراً في تلك الجهات وأستولى على عدة
حصون أو مخافر كانت تقيم فيها جنود فارسية لمنع غارات العرب منها المسلحة
التي سموها بعد حراهما الخريبة أجمع أهل الابلّة وخرجوا لقتاله فقاتلهم فأنتصر
عليهم وهزمهم حتى دخلوا المدينة في رعب شديد ثم رجع إلى معسكره وترك في
قلوب من في الابلّة خوفاً اضطهرهم إلى إخلاء المدينة فحملوا ما خف وعبروا الماء ،
فبلغ ذلك عتبة فأسرع إليها ودخلها وغنم المسلمون أموالاً وسلاحاً وسبياً وذلك
في رجب سنة ١٤ هـ .

= النظر المزيد في : طبقات ابن سعد ٦٩ / ٣ ثم ١٠٧ ، صفة الصفوة ١ / ١٥١ ،
حلية الأولياء ١ / ١٧١ ، ذيل المذيل ٤٠ ، طبقات المناوى ١ / ٦٩ ، إمتاع الأسماع
١ / ٥٧ ، تهذيب الأسماء ١ / ٣١٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٤٩ ، فتح البلاذري ٣٥٨ .
^(١) ويرى أن عتبة أرسله عمر من المدينة وأوصاه ووعظه وقال له : انطلق أنت ومن معك
حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فاقبضوا فأسار عتبة ومن معه
ونزل في موضع البصرة في ربيع الأول سنة ١٤ هـ ، وكان معه أربعون رجلاً فيهم
نافع بن الحارث الثقفي وأبو بكره وزباد بن أبيه وانضم إليه قطبة فبمن معه من بكر
ابن وائل وغميم .

تأسيس البصرة القديمة

على أثر فتح الأبله نزل عتبة بجيشه على طرف البر إلى جانب مسلحة
الفرس التي خرجت في تلك الأثناء فسموها الخريبة وأخذ المكان معسكراً لأنه لا
يحول الماء بينه وبين مكة إذ كان من ذلك الموضع على الضفة الغربية للفرات إلى
مكة رمال وجبال وسهول لا يفصل بينهما غير ثم كتب إلى الخليفة الثاني في موسم
الشتاء يستأذنه بالبناء فأذن له فبنى مسجداً وداراً للإمارة من القصب في الرحبة
التي سميت رحبة بني هاشم وذلك في سنة ١٤ هـ / ٦٣٦ م ، فبنى الناس يوقم
من القصب. وقد بنيت على بعد أربعة فراسخ من مدينة الأبله قرب الخليج
الفارسي في منتهى العراق عند موقع الزبير^(١).

(١) نسبة إلى الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي أبو عبد الله الصحابي الشجاع أحد
العشرة المبشرين بالجنة وأول من سل سيفه في الإسلام وهو ابن عمه النبي صلى الله
عليه وسلم وله ١٢ سنة . وشهد بدرأً وأحدأً وغيرهما . وكان على بعض الكراديس
في اليرموك . وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب . قالوا : كان في صدر ابن الزبير أمثال
العيون من الطعن والرمي . وجعله عمر في من يصلح للخلافة بعده . وكان مرسراً
كثير المتاجر ، خلف أملاكاً بيعت بنحو أربعين مليون درهم . وكان طويلاً جداً إذا
ركب تحط رجلاه الأرض . فقتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بسوادى السباع
(على ٧ فراسخ من البصرة) سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م . وكان خفيف اللحية وأسمر
اللون ، كثير الشعر . روى له البخاري ومسلم ٣٨ حديثاً .

انظر المزيد في : تهذيب ابن عساكر ٥ / ٣٥٥ ، الجمع ١٥٠ ، صفحة الصفوة
١ / ١٣٢ ، حلية الأولياء ١ / ٨٩ ، ذيل المنذيل ١١ ، تاريخ الخميس ١ / ١٧٢ ، =

وعلى أثر ذلك أجمع أهل ميشان وخرجوا لقتال المسلمين فخرج إليهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبان ميشان أسيراً.

وبعد قليل استعمل عتبة على جيشه مجاشع بن مسعود^(١) وسيره إلى القرات واستخلف على المدينة المغيرة بن شعبة^(٢) إلى أن يعود مجاشع فإذا قدم فهو الأمير

= البدء والتاريخ ٨٣/٥ : الرياض النضرة ٢٦٢ - ٢٨٠ ، خزانة البغدادى ٤٦٨/٢ ثم ٣٥٠ .

(١) هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمى صحابى من القادة الشجعان استخلفه المغيرة بن شعبة على " البصرة " فى خلافة عمر وغزا " كابل " وصالحه صاحبها " الأصمعيذ " وقيل : كان على يديه فتح " حصن أبرويز " بفارس . وكان يوم الجمل مع عائشة أميراً على بنى سليم فقتل له قبل الواقعة ودفن بداره فى " بنى سدوس " بالبصرة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م ، له خمسة أحاديث فى الصحيحين وغيرها وكان من الكرماء ، وفد عليه عمرو ابن معدى كرب وهو فى البصرة فأعطاه عشرة آلاف درهم وقرساً وسيفاً ودرعاً . انظر المزيد فى ذكر أخبار أصبهان ١/ ٧٠ ، الإصابة ت ٧٧٢٣ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨ ، الجمع ٢/ ٥١٥ ، معجم ما استعجم ١١٠٨ ، العقد الفريد ٢/ ٦٦١ .

(٢) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى أبو عبد الله أحد دهاة العرب وقادقم وولاتهم صحابى ، يقال له " مغيرة الراى " ولد فى الطائف " بالحجاز " سنة ٢٠ ق هـ / ٦٠٣ م وبرحها فى الجاهلية مع جماعة من بنى مالك فدخل الإسكندرية وأفداً على المقوقس وعاد إلى الحجاز . فلما ظهر الإسلام تردد فى قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ ، فأسلم وشهد الحديبية واليمامة وفتح الشام وذهبت عنه بالرموك وشهد القادسية وناوند وهدان وغيرها . وولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على البصرة ففتح عدة بلاد وعزله ثم ولاه الكوفة وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله ولما حدثت الفتن بين على ومعاوية اعتزلها المغيرة وحضر مع الحكمين ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٥٠ هـ / ٦٧٨ م .

انظر المزيد فى : الإصابة ت ٨١٨١ ، أسد الغابة ٤/ ٤٠٦ ، تاريخ الطبرى =

وسار عتبة إلى يثرب عاصمة المسلمين للائاقاة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فأنصر مجاشع بن مسعود على أهل القرات . أما المغيرة بن شعبة فإنه بلغه أن الفرس القرين منه أجمعوا لقتاله فخرج إليهم عن معه فلقبهم بالمرغاب وأنصر عليهم وكتب بذلك إلى الخليفة . فلما وصل كتابه إلى الخليفة قال لعبه : من استعملت على البصرة فقال مجاشع بن مسعود قال : أتستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر ؟ وأخيره بما كان من أمر المغيرة وأمره بالرجوع إلى عمله وأوصاه بوصايا هامة قمت عتبة في الطريق في سنة ١٤ هـ .

ولما بلغ الخليفة الثانى موت عتبة ولى على البصرة المغيرة بن شعبة وذلك في سنة ١٤ م ثم عزله في سنة ١٦ هـ ، وولى عليها أبا موسى ^(١) الأشعري ^(٢).

= ١٣١ / ٦ ، ذيل المذيل ١٥ ، الكامل ١٨٢ / ٣ ، الجمع ٤٩٩ ، معجم الشعراء ٣٦٨ ، رغبة الأمل ٢٠٢ / ٤ ، المغير ١٨٤ .

^(١) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس استعمله النبی صلى الله عليه وسلم مع معاذ على اليمن ، ثم ولى لعمر الكوفة والبصرة . وكان عالماً صالحاً تالياً لكتاب الله إليه انتهى في حسن الصوت بالقرآن . حدث عنه طارق بن شهاب وابن المسيب وخلق . وقال أبو إسحاق سمعت الأسود يقول : لم أر بالكوفة أعلم من على وأبي موسى . مات في ذى الحجة سنة ٤٤ هـ .

انظر المزيد في : أسد الغابة ٣٠٦ / ٦ ، الإصابة ٣٥١ / ٢ ، تذكرة الحفاظ ٢٣ / ١ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٧٨ ، شذرات الذهب ٥٣ / ١ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٤٤٢ ، طبقات القراء للنهى ٣٧ / ١ ، العبر ٥٢ / ١ ، النجوم الزاهرة ١ / ١٢٦ .

^(٢) وقيل ولاءه في سنة ١٧ هـ .

وفي هذه السنة (سنة ١٦ هـ) حدث حريق بالبصرة فخافوا الحريق مرة أخرى فأستأذنوا الخليفة في البناء باللبن فأذن لهم وكتب إليهم يقول : أفعلسوا ولا يذدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البناء وألزموا السنة تلزمكم الدولة. فخططوا المناهج والشوارع وجعلوا المدينة خططاً بحسب القبائل لكل قبيلة خط . وجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعاً وعرض ما سواه عشرين ذراعاً وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع ووسط كل خط رجة فسيحة لمرباط خيولهم وتلاصقوا بالنازل وأول شيء بنى فيها مسجد لها ووضعوه في الوسط بحيث تتفرع الشوارع منه ^(١) ، ولما أذن عمر ببنائها باللبن ساق إليها جماعات كبيرة من أشراف العرب من أهل البادية وأسكنهم فيها وكان على تريلها أبو الحرياء عاصم ابن دلف ^(٢) .

^(١) ويرى أن سعداً أرسل نفراً إلى عمر يستأذنه في بناء البصرة باللبن فأذن لهم وأمرهم بتخطيط الشوارع على الوجه المذكور وما قيل من أنها بنت باللبن في أيام عتبة بن غزوان فغير صحيح لأنه مات في سنة ١٤ هـ بعد أن بناها بالقصب ثم بنيت باللبن في سنة ١٦ هـ بعد سقوط المدائن بقليل في أيام إمارة أبي موسى الأشعري.

^(٢) وقد بالغ بعض المؤرخين وزعم أن عمر ساق إلى البصرة بعد بنائها باللبن سبعين ألف بيت من أشراف العرب من سكان البادية وأسكنهم فيها .

البصرة في عهد الخلفاء الراشدين

لم تم فتح العراق بعد سقوط المدائن عاصمة الفرس على يد القائد الإسلامي سعد بن أبي وقاص في سنة ١٦ هـ الموافقة لسنة ٦٣٧ م رتب الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله عنه العمال وقلدر رواتبهم وأقر أبا موسى الأشعري على ولاية البصرة وجعل له ستمائة درهم في الشهر ووجه شريح بن الحرث^(١) على قضاء البصرة وأجرى عليه مائة درهم وعشرة أجرة في الشهر^(٢).

وكتب إلى أبي موسى الأشعري بإبقاء الخراج بالمساحة باعتبار الجريب كما كان في أيام الفرس على الجريب من الحنطة قفيز ودرهم أو أربعة دراهم وعلى الشعير درهمين وعلى الجريب من النخل ثمانية دراهم ومن الكرم العنب عشرة دراهم ومن القصب ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم سواء زرعت الأرض أم تركت. والجريب ٣٦٠٠ ذراعاً مربعاً. والقفيز عشر الجريب، أما الأراضي التي

(١) هو شريح بن الحارث بن قيس بن المهجم الكندي أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. وفي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية. واستعمل في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧ هـ وكان ثقة في الحديث مأموناً في القضاء. له باع في الأدب والشعر وعمر طويلاً ومات بالكوفة سنة ٧٨ م / ٦٩٧ م انظر المزيد في شذرات الذهب ١ / ٨٥، طبقات ابن سعد ٦ / ٩٠ - ١٠٠، وفيات الأعيان ١ / ٢٢٤، جلية الأولياء ٤ / ١٣٢.

(٢) وبقي شريح على القضاء إلى أيام الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٧٥ هـ فاستقال.

كانت للدولة الفارسية المنقرضة وهى التى صارت ملكاً للدولة الإسلامية فأنه وضع عليها العشر كما وضع المكس على التجارة .
وأبقى الجزية على أهل الذمة كما كانت فى عهد الفرس باعتبار درجات الناس ومقدرتهم وأستثنى نصارى العرب منها وجعل عليهم الزكاة كالمسلمين لأنهم نصروا جيوشه .

وبعد أن كان موضع البصرة معسكراً للجيش الإسلامى تقيم فيه العرب مع نسائهم وأولادهم كما يقيم جيش الاحتلال فى هذا العصر صار ذلك الموضع مدينة كبيرة ذات أسواق واسعة ويوت فخمة ، وسميت بهذا الأسم البصرة لأنها بنيت على أرض غليظة ذات حجارة رخوة بيضاء إذ تسمى العرب مثل هذه الأرض البصرة وأخذت عمارتها تزداد يوماً فيوماً منذ أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
ولما قتل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أواخر سنة ٢٣ هـ الموافقة لسنة ٦٤٤ م وتولى بعده عثمان بن عفان^(١) أقر أباً موسى الأشعرى على

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو عمرو الأموى ذو النورين ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف، ومن أفتح نوابه إقليم خراسان وإقليم المغرب . هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وروى جملة كثيرة من العلم وكان من السابقين الصادقين المنفقين فى سبيل الله ، مات يوم الجمعة ثامن عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة وعاش بعضاً وثلاثين .

انظر الزيد فى : أسد الغابة ٣ / ٥٨٤ ، الإصابة ٢ / ٤٥٥ ، تاريخ الخلفاء ١٤٧ ،
تذكرة الحفاظ ١ / ٨ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٢١ ، شلرات الذهب ١ / ٤٠ ،
طبقات الفقهاء ٤٠ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٥٠٧ ، طبقات القراء للذهبي
٢٩ / ١ ، المعبر ١ / ٣٦ ، مروج الذهب ٢ / ٣٤٠ ، النجوم الزاهرة ١ / ٩٢

البصرة ثم عزله في سنة ٢٩ هـ وولاه عبد الله بن عامر بن كريز^(١) وهو ابن خال عثمان وكان حدث السن^(٢) وفي أيامه في سنة ٢٣ هـ طعن أهل الكوفة في عثمان وأنكروا عليه ولاية جماعة من أقربائه لا يصلحون للإمارة ثم سكنوا ولكنهم ظلوا ناصقين عليه سرّاً حتى إذا ما كانت سنة ٣٥ هـ ثاروا واتفق معهم أهل البصرة وأهل مصر وخرج خمسمائة رجل من الكوفة ومثلهم من البصرة ومثلهم من المصريين وأجمعوا بالمدينة وطلبوا من عثمان عزل عماله . وكان عثمان قد سار على سيره الشيخين بادئ بدء ثم غير سيرته فعزل أكثر الولاة القديرين وولى أقربائه.

(١) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي أبو عبد الرحمن أموي فاتح . ولد بمكة سنة ٤ هـ / ٦٢٥ م وولى البصرة في أيام عثمان سنة ٢٩ هـ ، فوجه جيشاً إلى سجستان فالتصّحها صلحاً وأفتح الداور وبلاداً من دارابرد وهاجم مرو الروذ فالتصّحها وبلغ سرخس فالتصّدت له ، ففتح أبرشهر عنوة وطوس وطخارستان ونيسابور وأبورد وبلغ والطالقان والفارسياب وأتصّحت له رساق هراة وآمل وبست وكابل وقتل عثمان وهو على البصرة ، وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته ثم صرّفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة ودفن بعرفات . كان شجاعاً سخياً وصولاً لقومه رحيماً ، محباً للعمران ، اشترى كثيراً من دور البصرة وهدمها فجعلها شارعاً وهو أول من أخذ الخياض بعرقه (في الحجاز) وأجرى إليها العين ، وسقى الناس بالماء . قال الإمام علي : ابن عامر سيد فتيان قریش ولما بلغ معاوية نبأ وفاته ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن بلغه خبره ونهاه .

انظر المزيد في: تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٢٦ ، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠ - ٣٥ ، البدء والتاريخ ٥/ ١٠٩ ، الكامل ٣/ ٢٠٦ .

(٢) قبل كان عمره حينذاك ٢٥ سنة . ثم ولاه عثمان في سنة ٣١ هـ على الجيش في بلاد فارس وعهد إليه أن يتم فتحها ففتحها وأقرضت دولة الأكاسرة على يده في سنة ٣ هـ الموافقة لسنة : ٦٥١ م في أيام عثمان .

لأنه كان كلفاً بأهله مستسلماً إلى أقربائه من بنى أمية حتى نقم عليه أكثر أصحابه ونفروا منه . فكبرت الفتنة فحاصروه في داره ثم هجموا عليه وقتلوه بعد حوادث طويلة وذلك في ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ هـ الموافقة لسنة ٦٥٦ م .
وبويع بالخلافة الإمام على ^(١) في ٢٥ ذى الحجة من السنة المذكورة فعزل أكثر ولاية عثمان منهم أمير البصرة عبد الله بن عامر فإنه عزله في أوائل سنة ٣٦ هـ الموافقة لسنة ٦٥٦ م وولى مكانه عثمان بن حنيف ^(٢) فلما وصل البصرة الأمير الجديد ولى على شرطة البصرة حكيم بن جبلة ^(٣) .

(١) هو أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه أبو الحسن الهاشمي قاضى الأمة ولسارس الإسلام جاهد في الله حتى جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل ، أستشهد في سابع عشر رمضان من عام أربعين وسنة ستون سنة
انظر المزيد في : أسد الغابة ٤ / ٩١ ، الإصابة ٢ / ٥٠١ ، تاريخ بغداد ١ / ١٣٣ ،
تاريخ الخلفاء ١٦٦ ، تذكرة الحفاظ ١ / ١٠ ، خلاصة تلهيب الكمال ٢٣٢ ،
شذرات الذهب ١ / ٤٩ ، طبقات الفقهاء ٤١ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٥٤٦ ،
طبقات القراء للذهبي ١ / ٣٠ ، المعبر ١ / ٤٦ ، منسرج الذهب ٢ / ٣٥٨ ،
النجوم الزاهرة ١ / ١١٩ .

(٢) هو عثمان بن حنيف بن وهب الأنصارى الأوسى أبو عمرو وآل من الصحابة شهد
أحداً وما بعدها . وولاه عمر السواد ثم ولاه على البصرة . ولما تشبت فتنة الجمل
(بين عائشة وعلى) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على على ، فامتنع فتنفوا
شعر رأسه ولحيته وحاجبيه ، وأستأذنوا به عائشة فأمرهم بإطلاقه ، فلحق بعلى وحضر
معه الوقعة ثم سكن الكوفة وتوفى في خلافة معاوية بعد سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م .
انظر المزيد في : الإصابة ت ٥٤٣٧ ، التاج ٦ / ٧٨ ، تلهيب التهذيب ٧ / ١١٢ .

(٣) هو حكيم بن جبلة العبدي من بنى عبد القيس صحابى كان شريفاً مطاعاً من أشجع
الناس، ولاه عثمان إمرة السند ولم يستطع دخولها فعاد إلى البصرة واشترك في =

وفي أيام إمارة ابن حنيف حدثت وقعة الجمل الشهيرة بالبصرة .
وخلاصتها ما يأتي :

وقعة الجمل

لما قتل عثمان وصارت الخلافة للإمام على استاء كثير من أهل مكة والمدينة
وغيرها لقتل عثمان خصوصاً بنو أمية ومن جعلتهم عائشة^(١) بنت أبي بكر فأثما لما
بلفها الحبر قتله استنكاراً شديداً وكانت يومئذ بمكة وقالت : (ما كنت أبالي أن

= الفصة أيام عثمان . ولما كان يوم الجمل (بين عائشة وعلى) أقبل في ثلاثمائة من
بنو عبد القيس وربيعة فقاتل مع أصحاب على وقطعت رجله فأخذها وضرب بها
قطعها، فقتله بها وبقي يقاتل على واحدة ويرتجز:

يا ساقى لن تراعى
أحى بها كراعى
إن معى ذراعى

ونزف دمه ، فجلس متكئاً على المقتول الذي قطع رجله ، فمر به فارس
فقال : من قطع رجلك ؟ قال: وسادى وقتل في هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .
انظر المزيد في الإصابة ٢ / ٦٤ ، دول الإسلام ١ / ١٨ .
(١) هي عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق ، كان لفهاء أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرجعون إليها ، تفقه لها جماعة ، يروى عن أبي موسى قال : ما أشكل علينا
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه
علماً . توفيت سنة ٥٧ هـ .

انظر المزيد في : الإصابة ٤ / ٣٤٨ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧ ، شذرات الذهب
١ / ٦٦ ، طبقات ابن سعد ٨ / ٣٩ ، طبقات الفقهاء ٤٧ ، المعبر ١ / ٦٢ ، النجوم
الزاهرة ١ / ١٥٠ .

تقع السماء على الأرض ، قتل والله مظلوماً وأنا طالبة بدمه) مع أنها كانت من جملة الناقمين عليه حينما غير سيرته وأستسلم لأقربائه ، فأنضمت عائشة إلى من أقسم علماً بقتل عثمان لأت قتله عثمان ألقوا خوله . وكان طلحة والزبير^(١) بن العوام ممن طمع بالخلافة بعد قتل عثمان ولكنهما لما رأيا الأكرية الساحقة لعلی وافقوا القوم وبايعاه مع الناس وعينا كل منهما إلى ولاية من الولايات الكبرى ، بل كان طلحة لا يشك في ولاية اليمن والزبير لا يشك في ولاية العراق فلما استبان

(١) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني أبو محمد صحابي ، شجاع من الأجواد ، وهو أحد العشرة المبشرين وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الضميمة السابقين إلى الإسلام ، قال ابن عساکر : كان من دهاة قريش ومن علمائهم . وكان يقال له ولأبي بكر " القرينان " وذلك لأن نوفل بن الحارث - وكان أشد قريش - رأى طلحة ، ولقد أسلم ، خارجاً مع أبي بكر من عند النبي صلى الله عليه وسلم فأمسكهما وشدهما في جبل ، ويقال له " طلحة الجود " وطلحة الخير " و " طلحة الفيض " وكل ذلك لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناسبات مختلفة ، ودعاه مرة " الصبيح المليح القصيح " شهد أحداً وثبت مع رسول الله وبايعه على الموت ، فأصيب بأربعة وعشرين جرحاً وسلم ، فشهد الحندق وسائر المشاهد وكانت له تجارة وافرّة مع العراق ، ولم يكن يدع أحداً من بني تم عائل إلا كفاه مؤنته ومؤنة عياله وروى ديسه ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م ودفن بالبصرة . وله في الصحيحين ٣٨ حديثاً .

انظر المزيد في : طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٢ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠ ، البدء والتاريخ ٥/ ٨٢ ، المجموع ٢٣٠ ، طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٣٤٢ ، الرياض النضرة ٢/ ٢٤٩ - ٢٦٢ ، صفة الصفوة ١/ ١٣٠ ، حلية الأولياء ١/ ٨٧ ، ذيل المذيل ١١ ، تهذيب ابن عساکر ٧/ ٧١ ، اخیر ٣٥٥ ، رغبة الآمل ٣/ ١٦ و ٨٩ ، اللباب ٢/ ٨٨ .

لهما أن علياً غير موليها قباله فقالا له : هل تدري على ما بايعناك ؟ ، قال : نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعهم عليه أبا بكر وعمر وعثمان ، فقالا ولكننا بايعناك على أننا شريكك في الأمر ، فقال على ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعمول على المعجز والأولاد ، فانصرفا ثم أظهروا الشكاة فتكلم الزبير في ملاء من قريش فقال : (هذا جزاءنا من على ، قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه اللنب وسبنا له القتل وهو جالس في بيته ، وكفى الأمر فلما نال ما أراد جعل دوننا غيرنا . فقال طلحة : (ما اللؤم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحننا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده فأصبحنا وقد أخطأنا ما رجونا) ، فأنتهى قولها إلى على فدعى عبد الله بن عباس ^(١) فقال له : (هل بلغك قول هذين الرجلين) قال : نعم بلغني قولهما ، قال : فما ترى ، قال : أرى أنهما أحبا الولاية قول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فأنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان . فقال على : ويحك أن العراقيين هما الرجال والأموال ومضى فملكنا رقاب الناس يستميلا السفه بالطمع ويضربا بالضعف بالبلاء ويقربا على القوى بالسلطان ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لا ستملت معاوية على الشام ولو لا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيهما رأى .

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي الإمام البحر عالم العصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل ، مات بالطائف سنة ٦٨ هـ .

انظر المزيد في : أسد الغابة ٣ / ٢٩٠ ، الإصابة ١ / ٣٢٢ ، تاريخ بغداد ١ / ١٧٣ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٤٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٧٢ ، شذرات الذهب ١ / ٧٥ ، طبقات الفقهاء ٤٨ ، طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٤٢٥ ، طبقات القراء للذهبي ١ / ٤١ ، المعبر ١ / ٧٦ ، النجوم الزاهرة ١ / ١٨٢ ، نكت الهميان ١٨٠ .

فلما ياس كل من طلحة والزبير من الولاية مضيا إلى مكة والتقى بعائشة وعظما لها شأن عثمان وشايعاها على ما تطلبه على غيرها من اللذين سألهم قتل عثمان ، وقالوا لها تجملنا هرباً من غوغاء الناس وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا ينعون أنفسهم ، فقالت : (تنهض إلى هذه الغوغاء أو تأتي الشام) وعزمت على الاقتصاص من على والمخازن إلى من قام ضده من ذوى المطامع الذين اتخذوا قتل عثمان ذريعة لنيل مقاصدهم وصارت تطالب عليا بدم عثمان جهاراً وقوى عزمها بطلحة والزبير.

وكان قد وصلهم خبر رد أهل الشام بيعة على وقيام معاوية بالمطالبة بدم عثمان فهزموا الشيوخ إلى البصرة وشرعوا في تجهيز الجيوش وأنضم إليهم جمهور كبير، فبلغ ذلك علياً فلم يستطع أن يسلم قتلة عثمان لأنهم يعدون بالآلوف وهم اللذين عملوا على توليته الخلافة ولو أنه أمر بالقبض عليهم لم يسلموا حتى نسفك آخر قطرة من دمائهم فيكون ذلك صدع لوحدة المسلمين فامتنع على عن تسليمهم . فخرجت عائشة من مكة ومعها طلحة والزبير وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة^(١) ومروان بن الحكم^(٢) وغيرهم من بنى أمية اللذين أعانوها

(١) هو محمد بن طلحة بن عبد الله القرشي التيمي أبو سليمان صحابي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسماه باسمه ويقال له " السجاد" لكثرة تعبدته قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .

انظر المزيد في : الإصابات ٧٧٨٣ ، الوالي بالوفيات ٣ / ١٧٤ .

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الملك خليفة أموى ، هو أول من ملك من بنى الحكم بن أبي العاص ، واليه ينسب "بنو مروان" ودولتهم "المروانية" ولد بمكة ٢ هـ / ٦٢٣ م ، ونشأ بالطائف وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته وأخذته كاتباً له . ولما قتل عثمان خرج =

ونسأدى مناديتها في الناس يطلب ثار عثمان فأجتمع نحو ثلاثة آلاف مقاتل فساروا نحو البصرة.

وبلغ علياً خبرهم وكان محتجزاً إلى الشام فأرسل إليهم ينصحبهم فلم يجيبوه فتجهز لهم وسار في أثرهم قاصداً البصرة وانضمت له جوع حتى بلغوا نحو تسعة آلاف مقاتل .

= مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه وقتل مروان في وقعة "الجمل" قتلاً شليداً وأهزم أصحابه فوارى وشهد صفين مع معاوية ثم آمنه على، فاتاه فبايعه وأنصرف إلى المدينة فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فولاه المدينة سنة ٤٢ هـ ، وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام، ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بني أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان فيهم مروان ثم عاد إلى المدينة وحدثت فتن كان من أنصارها وأنقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر ومات يزيد وتولى ابنه معاوية بن يزيد ثم اعتزل معاوية الخلافة وكان مروان قد أنسن فرحل إلى الجابية (في شمال حوران) ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن سنة ٦٤ هـ ، ودخل الشام فأحسن تدبيرها وعرج إلى مصر وقد فشت في أهلها البيعة لابن الزبير، فصالحوا مروان فولى عليهم ابنه عبد الملك ، وعاد إلى دمشق فلم يطل أمره وتوفى فيها بالطاعون سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥م وقيل غطته زوجته " أم خالد " بوسادة وهو نائم ، فقتلته ، ومدة حكمه تسعة أشهر و١٨ يوماً وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها « قل هو الله أحد » وكان يلقب "خيظ باطل" لطول قامته واضطراب خلقه .

انظر المزيد في : الإصابات ٨٣٢٠ ، أسد الغابة ٤ / ٣٤٨ ، تهذيب ١٠ / ٩١ ، الجمع ٥٠١ ، الكامل ٤ / ٧٤ ، تاريخ الطبری ٧ / ٣٤ و ٨٣ ، البدء والتاريخ ٦ / ١٩ ، السامی ١ / ١٧٣ ، تاريخ الخميس ٢ / ٣٠٦ ، معجم قبائل العرب ٣ / ١٠٧٨ .

أمسا عائشة فأثما وصلت البصرة واصطف لهما الناس في الطريق فقالوا :
(يا أم المؤمنين ما الذي أخرجك من بيتك) وعلت أصواقهم بهذه الكلمة وأكثرها
عليها فقالت : (أيها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه، ولقد قتل
مظلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل، وأن من
الرأى أن ينظر إلى قطة عثمان فيقتلون به ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله
عمر بن الخطاب) فلما أتمت قولها قال فريق من البصريين : صدقت وقال آخرون :
كذبت وانقسموا إلى قسمين قسم اتفق مع المطالبين بدم عثمان وهم الأكثر وقسم
عدهم هؤلاء من الخوارج ولم يزل الناس يقولون ذلك (صدقت كذبت) حتى
ضرب بعضهم وجوه بعض . ورد على عائشة رجل من عبد القيس فنالوا منه
ولستفوا لحيته وترامى الناس بالحجارة واضطربوا وهم مجتمعون في مرقد البصرة^(١)
فجاء رئيس شرطة البصرة حكيم بن جبلة إلى الأمير عثمان بن حنيف ودعاه إلى
قتال أصحاب عائشة فأبى عثمان . وكان حكيم عند نزول جيش عائشة في الخربة
قد أشار على عثمان بمنعهم من دخول البصرة فأبى وقال : (ما أدري ما رأى أمير
المؤمنين في ذلك) فدخلوا بدون مانع وكتب الأمير إلى الإمام على يخبره بقدمهم،
وبما حدث يوم دخولهم البصرة.

ثم أتى عبد الله بن الزبير إلى خزينة الرزق ليأخذ الطعام إلى أصحابه منها
فجاء حكيم في سبعائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من
أصحابه وذلك في جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ ثم ملك أصحاب عائشة بيت مال
البصرة وقتلوا من الوكلاء خمسين رجلاً ، وروى أنهم هجموا ليلاً على دار الإمارة
وقتلوا أربعين رجلاً من حرس عثمان بن حنيف وقبضوا على عثمان وحبسوه

(١) مرقد البصرة محلة في البصرة من جهة اليربة كان يجتمع فيها العرب كسوق عكاظ .

واستولوا على دار الإمارة وبيت المال. ثم أطلقوا^(١) عثمان فسار إلى ملاقاته الإمام على.

وبعد قليل وصل الإمام على بجيشه ونزل في الزاوية من البصرة وأرسل القعقاع^(٢) إلى الخالرين ينصحهم وظل يرأسهم ثلاثة أيام . وكتب إلى طلحة والزبير يدعوهم للتدبر في مصير أمرهما . وكتب إلى عائشة يردها عما عزم عليه . فكتب إليه الزبير يقول : (أنك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفي نفسك منه حاجة فأقض لأمرك) وكتب إليه طلحة : (أنك لست راضياً دون دخولنا في طاعتك ولنا بداخلين فيها أبداً فأقض ما أنت قاض) وكتب إليه عائشة : (جل الأمر عن العتاب والسلام) .

وأصر طلحة والزبير وعائشة على الحرب فعبا الزبير الجيش وتولى قيادته العامة وجعل طلحة على الفرسان وعبد الله بن الزبير على المشاة ومحمد بن طلحة على القلب ومروان بن الحكم على المقدمة وعبد الرحمن بن عباد^(٣) على الميمنة

(١) قيل أُمم أطلقوه بعد أن نضوا لحية ورأسه وحاجيه ، وقيل جلدوه أيضاً فقدم إلى على فقال: يا أمير المؤمنين بعضي ذا لحية وجنتك أمرداً . فقال الإمام : أصبت أجراً وخيراً .

(٢) هو القعقاع بن عمرو التميمي أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام ، له صفة ، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس ، وسكن الكوفة ، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع على . وكان يتقلى في أوقات الزينة سيف هرقل " ملك الروم " ويلبس درع بمرام "ملك الفرس" وهما مما أصابه من الغنائم في حروب فارس ، وكان شاعراً فحلاً . قال أبو بكر : صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل ومات بعد سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م .

انظر المزيد في : الإصابة ٧١٢٩ .

(٣) ورد ذكره في الكامل لابن الأثير وتاريخ الطبري .

وهلال بن وكيع^(١) على المسيرة .

وعبأ على جيشه فجعل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى المؤخرة هند المرادي^(٢) وعلى الفرسان عمار بن ياسر^(٣) .

(١) هو هلال بن وكيع بن بشر الصيمى الدرامى خطيب من رؤساء بني تميم ، كان ممن وفد على عمر بن الخطاب لما ولي . وقاتل يوم " الجمل " مع عائشة ، وقتل فيه سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .

انظر المزيد في : الحواهر المضيئة ٢ / ٢٠٧ ، القوائد البهية ٢٢٣ ، التاج ١٠ / ١٤١ ، مفتاح السعادة ٢ / ١٢٤ ، نهاية الأرب ٣٥١ ، سبائك الذهب ٤٤ - ٤٩ .
(٢) هو هند بن عمرو الجملى (من بني جمل بن كنانة بن ناجية) المردى تابعى . يقال له صحبة ، أدرك الجاهلية . وولاه عمر سنة ١٧ هـ ، على نصارى بني تغلب وصحب عليا وروى عنه ، و----- شهد معه وقعة الجمل لقتله عمرو بن يثرب الضبي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .

انظر المزيد في : الكامل ٣ / ٩٨ ، الجرح والتعديل ق ٢ م ١١٧٤ ، الإصابة ت ٩٠٥٧ ، اللباب ١ / ٢٣٧ .

(٣) هو عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المدحجى العنسى القحطاني أبو البقطان صحابي من السيادة الشجعان ذوى الراى . وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهري به . هاجر إلى المدينة وشهد بئرأ وأحدأ واخندق وبيعة الرضوان ، وكان النبی صلى الله عليه وسلم يلقبه " الطيب المطيب " وفى الحديث " ماغير عمار بين أمرين إلا أختار أرشدما وهو أول من بنى مسجداً فى الإسلام (بناه فى المدينة وصماه قباء) وولاه عمر الكوفة " ، فأقام زمناً وعزله عنها وشهد الجمل وصفين مع على . وقتل فى الثانية وعمره ثلاث وتسعون سنة . وكان مولده سنة ٥٧ ق هـ / ٥٦٧ م ، ومات سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م ، وموته سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م . له ٦٢ حديثاً .

انظر المزيد في : الإصابة ٢ / ٤٦٩ ، الإصابة ت ٥٧٠٦ ، الخبر ٢٨٩ و ٢٩٦ ، -

وعلى المشاة محمد بن أبي بكر^(١) وسلم رايته إلى ابنه محمد بن الحنفية^(٢).

تاريخ الطبري ٢١/٦ ، حليمة الأولياء ١/١٣٩ ، السلي ١/٢٣٤ ، ذيل الليل ١١ ، صفة الصفوة ١/١٧٥ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٣٧ .

(١) هو محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن عثمان بن عامر التيمي القرشي أمير مصر وابن الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، كان يدعى "عابد قريش" ولد بين المدينة ومكة سنة ١٠ هـ / ٦٣٢ م في حجة الوداع ونشأ بالمدينة في حجر علي بن أبي طالب (وكان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه) وشهد مع علي وقعه الجمل وصفين. وولاه على إمارة مصر بعد موت "الأشتر" فدخلها سنة ٣٧ هـ . ولما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكيم فأتى عليا أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر وأنصرف على يريد العراق ، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر ، فدخلها حرباً ، بعد معارك شديدة وأخفى ابن أبي بكر لعرف "معاوية بن جديج" مكانه فقبض عليه وقتله وأحرقه ، لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان وقيل لم يحرق ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد "إمام" خارج مدينة القسطنطينية . مات سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م .

الظفر المزيدي : الولاة والقضاة ٢٦ - ٣١ ، الكامل ٣/١٤٠ ، تاريخ الطبري ٥٣/٦ ، المغرب في حلى المغرب ط ٢/٦٩ ، بدائع الزهور .

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطال الأشرار في صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أهمها فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تمييزاً له عنهما . وكان يقول الحسن والحسين أفضل مني وأنا أعلم منهما . كان واسع العلم ورعاً ، أسود اللون وأخيار قوته وشجاعته كثيرة . وكان المختار الطفي يدعو الناس إلى إمامته ويزعم أنه المهدي . وكانت الكيسانية (من فرق الإسلام) تزعم أنه لم يموت وأنه مقيم برضوى مولده سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، ووفاته في المدينة سنة ٨١ هـ / ٧٠٠ م ، وقيل خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك .

فلما نجا الفريقان للقتال أمر علي منادياً فنادى في أصحابه : (لا يرمين أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أعلد إلى القوم فأخذ عليهم الحجة السالفة) . ثم خرج علي على بغلة النهر الشهباء ووقف بين الجيشين فنادى الزبير وطلحة فخرجوا إليه فقال للزبير : (ما الذي حملك على هذا ؟) قال : (لأني أراك لست أهلاً لهذا الأمر)^(١) فألقت علي إلى طلحة فقال : (جئت بفارس النهر تقاتل هنا وخبات فرسك بالبيت أما يايعنى) قال : (يايعناك والسيف على أعناقنا) . ثم قال علي لهما : (استحللنا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها أربع خصال أن تصدق فيها . هل تعلم رجلاً في قريش أولى مني برسول الله ؟ وإسلامي قبل كافة الناس ؟ وكفايني رسول الله كفار العرب بسيفي ورعي ؟ ، وعلى برأقي من دم عثمان ، وعلى أني لم استكره أحداً على بيعته وعلى أني لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما) ثم وجه عتابه نحو الزبير وذكره بأمر كان قد نسبها لفرق له الزبير ، أما طلحة فإنه أغلظ له القول في الجواب ، ثم أنصرفوا إلى مواضعهم .

وأراد علي حقن الدماء فأرسل من يصح الثائرين ويزدعهم فجرت بين الفريقين مراسلات حتى كاد الصلح أن يتم بها ، وشاع بين الجيشين غير الصلح فاستبشروا بالخير . فلما جن الليل أجمع الذين أشتركوا في قتل عثمان وتشاوروا على انتشاب الحرب لأنهم خافوا أن تم الصلح أن يقتلوا بعضهم . فأوقدوا نار الحرب مع الناس فجعل الناس وتصادموا وهجم بعضهم على بعض واستعزت نار

= انظر المزيد في : طبقات ابن سعد ٥ / ٦٦ ، ولغات الأعيان ١ / ٤٤٩ ،

صفة الصفوة ٢ / ٤٢ ، حلية الأولياء ٣ / ١٧٤ ، البدء والتاريخ ٥ / ٧٥ ،

نزهة الجليس ٢ / ٢٥٤ .

(١) ويروي ألقما اعتقلا وبكيا فقال علي : (يا ابا عبد الله ما جاء بك هنا ؟) قال :

(جئت أطلب دم عثمان) فقال علي : (تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان) .

الحرب ونسب كل فريق على الفريق الآخر الغدر ، وأقبل كعب بن سور^(١) حتى أتى عائشة فقال : أدركى فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بك . فركبت على جملها في هودج قد ضربت عليه صفائح الحديد حتى لا تحرقه النبال فصيحها وبرزت من البيوت حتى وقفت في وسط جيشها والناس يقتتلون . فقال الزبير لابنه عبد الله : (يا بني عليك بحر بك أما أنا فراجع إلى يقي) فقال عبد الله : (الآن وقد التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها) فقال الزبير : (يا بني لا تعد هذا مني جبناً فوالله ما فارقت أحداً في جاهلية الإسلام) قال فما يردك : قال : (ما ان علمته كسرك) .

فأنصرف الزبير إلى البصرة ومنها سار قاصداً مكة فقتله عمرو بن جرهمز الجعاشي^(٢) غدرأ^(٣) ، بوادي السباع فتولى القيادة العامة عبد الله بن الزبير ، بينما عائشة واقفة إذا فاجتها الهزيمة وشرعت جموعها تفر نحو البصرة فاطالت الخيل بالجمال وكان البصريون يحمونهم ويقاتلون دونه إكراماً للقي عليه . فقالت عائشة لكعب بن سور : (خل عن الجمال وتقدم بالمصحف فأدعهم إليه) وناولته مصحفاً

(١) هو كعب بن سور بن بكر الأزدي تابعي من الأعيان المقلدين في صدر الإسلام ، بعثه عمر قاضياً لأهل البصرة وعاملاً له عليها وأقره عثمان . فأقام إلى أن كانت وقعة الجمل (بين علي وعائشة) فاعتزل الفتنة . فقبل لعائشة : إن خرج معك كعب لم يتخلف من الأزدي أحد ، فركبت إليه ، فكلمته فأخذ مصحفه وشره ، وخرج بين الصنفين يذكر الفريقين ويدعوهم إلى السلام والقتال ناشب ، لجلده سهم فقتله سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .

انظر المزيد في : الإصابة ت ٧٤٩٥ ، أخبار القضاة ٦ / ٢٧٤ - ٢٨٣ ، رغبة الأمل ٨ / ١٥٢ .

(٢) ورد ذكره في الكامل وتاريخ الرسل والملوك .

(٣) قتله غدرأ وهو قائم يصلي في وادي السباع وهو الغل الذي فيه قبر طلحة اليوم .

فاستقبل القوم فرموه رشقاً واحداً فقتلوه ورموا عائشة في هودجها فجعلت تنادى (البقية البقية يا بنى) ويعلو صوقاً (الله الله أذكر والله والحساب) فيأبون إلا قدماً وبالأخص أهل الكوفة فلما رأى المنهزمون ذلك عادوا ورجعوا في أمر جديد وصارت عائشة تشجعهم على القتال وتحضهم على بذل أرواحهم في سبيل نيل الانتصار فأقتلوا حتى تادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فقاتلوا وكان طلحة قد قتل^(١) وجعل القوم يقتلون على زمام الجمل هذا يأخذه ليأمر عائشة والآخر يأخذه ليخلصها حتى ضاع الزمام بين الأيدي ومات دون الجمل خلق كثير من الفريقين وأخذ الزمام سبعون قرشياً ما نجا منهم واحد (ويروى تسعون) وصار الناس يتساقطون تحت الجمل وعائشة تنادى (البقية البقية) .

فلما رأى على اشتداد القتال بين الطرفين أمر بالهجوم على الجمل وأخذه عنوة ونادى : (أعقروا الجمل) فهجموا هجمة عظيمة فعقروا الجمل فسقط ، وأنهمز جيش عائشة فأمر على منادياً فنادى (لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور) وحل الهودج من بين القتلى فإذا هو كالتنقلد لما فيه من السهام فجاء على حتى وقف على الجمل وقال : محمد بن أبي بكر (أنظر أخيه هي أم لا ؟) ويروى أنه قال له : (أنظر هل وصل عليها شيء من جراحه ؟) فأدخل محمد رأسه في هودجها . فقالت من أنت ؟ قال : (أخوك الين) فقالت (عقق) فقال : يا أخيه هل أصابك شيء ؟ فقالت : (ما أنت وذاك) . ويروى أنه لما سقط الجمل اجتمع القعقاع وزفر على قطع بطانه وحمله وطافا به ثم وضعاه ولما أراد محمد أن ينظر على أخته عائشة مد يده في الهودج فقالت عائشة : (من هذا أحرق الله يده) فقال لها (قولى في الدنيا) فقالت (في الدنيا) . ثم أتاها على فقال :

(١) كان قد أصابه سهم في رجله وهو ينادى (عباد الله الصبر الصبر : اللهم خذ لعثمان

منى حتى ترضى فلما ثقل دخل البصرة فمات فيها) .

(كيف أنت يا أماه ؟) قالت (بخير) قال : (يغفر الله لك) قالت (ولك) فبنا
كان الليل أدخلها أخوها محمد البصرة بأمر على فأنزلها في دار عبد الله بن خلف
الخزاعي ^(١) على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة ^(٢) . وأنتهت هذه الحادثة بمكان
الخريبة بانتصار الإمام على في يوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ /
٦٥٦ م ، وكان اشتباكهم في القتال في يوم الخميس ١٥ من الشهر المذكور
(ويروى في ١١ منه) .

وقتل من الطرفين زهاء عشرة آلاف ^(٣) وميت وقعة الجمل لأفم لم يروا
منظراً مثل ذلك اليوم الذي تساقط الرجال فيه حول الجمل كتساقط القراش على
السراج . ولما هدا الناس جهاز على عائشة بكل ما ينبغي من زاد ومتاع وركائب ^(٤)
واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمداً
وشرذمة من الجند وسيرها إلى مكة ومنها إلى المدينة بالاحترام اللائق بها .

ولما كان يوم مسيرها خرج الناس لتشييعها فخرجت يوم السبت غرة رجب
سنة ٣٦ هـ ، فوقف لها الإمام على فودعتهم وقالت : (يا بني لا يعيب بعضنا على
بعض والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وبين أجانها)

(١) هو عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر الخزاعي من الكتاب في صدر الإسلام وهو والد
" طلحة الطلحات " كان كاتباً على ديوان البصرة لعمر ثم لثمان وشهد يوم الجمل
مع عائشة وقتل فيه سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .

انظر المزيد في : اغبر ٣٧٧ ، الإصابة ت ٤٦٤١ ، وفيات الأعيان ١ / ٢٦٢ .

(٢) ورد ذكره في طبقات ابن سعد .

(٣) ويسرى خمسة آلاف من أصحاب عائشة . وقيل سبعة عشر ألفاً من أصحاب عائشة
وألف وسبعون من أصحاب علي .

(٤) ويرى أنه خصص للنفقة عليها اثني عشر ألف درهم .

فقال صدقت والله كان بيني وبينها إلا ذاك وأنا لزوجة ليكم في الدنيا والآخرة ،
وشيعها على بنفسه عدة أميال وسرج بنه معها مسافة يوم . وقد ندمت عائشة
على ما فعلت وعادت بحفى حنين. وهى أول سيدة عربية قادت الجيوش في
الإسلام.

إمارة عبد الله بن عباس على البصرة

ولما أنهى على من وقعة الجمل وأنتب أمره في العراق ولى على البصرة
عبد الله بن عباس " هو ابن عمه " وذلك في سنة ٣٦ هـ وسار هو إلى الكوفة
فلما كانت سنة ٣٧ هـ وسار الإمام على لقتال معاوية في صفين وسار عبد الله
إلى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ^(١) فوجه معاوية بن أبي سفيان

(١) هو زياد بن أبيه أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة من أهل الطائف أختلفوا في أسم
أبيه ، ف قيل عبيد الثقفى وقيل أبو سفيان، ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة
القفى) في الطائف سنة ١ هـ / ٦٢٢ م وتباه عبيد الثقفى (مولى الحارث بن
كلدة) وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في عهد أبي بكر وكان كاتباً
للمغيرة بن شعبه ثم لأبي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه على بن أبي
طالب إمرة فارس ، ولما تولى على أمتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس وتين
لمعاوية أنه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكتب إليه بذلك فقدم زياد عليه وأخفه معاوية
بنسبه سنة ٤٤ هـ فكان عضده الأقوى وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم
يزل في ولايته إلى أن تولى سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣ م قال الشعبي : ما رأيت أحداً
أخطب من زياد . وقال قبيصة بن جابر : ما رأيت أخصب نادياً ولا أكرم مجلساً ولا =

(بعد استيلاء عمرو بن العاص على مصر) في سنة ٣٨ هـ ، عامر بن الحضرمي^(١) "يسرى أنه عبد الله بن الحضرمي" في جمع إلى البصرة ولما سيرة قال : "يا عامر أن جل أهل البصرة يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بشارهم ودم إمامهم. فأنزل فأنزل في مضر وتودد الأزدي فأنهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم لأنهم كلهم ترابية فأحذرهم " . فسار ابن الحضرمي حتى وصل البصرة فولد في بني تميم فاتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وحثهم على الأخذ بشار عثمان .

وبلغ ذلك زياداً وهو يومئذ نائباً عن عبد الله بن عباس أمير البصرة فكتب إلى الإمام على بالخير فأرسل إليه أعين بن ضبيعة التميمي^(٢) ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فإن أمتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه .

= أشبه سريته بعلانية من زياد . وقال الأصمعي : أول من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها اسم " الله " ومحا عنها اسم الروم ونقوشهم زياد . وقال العتيبي : إن زياداً أول من ابتدع ترك السلام على القادم بحضرة السلطان . وقال الشعبي : أول من جمع الصرافان وخراسان وسجستان والبحران وعمان ، زياد . وهو أول من عرف العرفاء ورتب الثقباء وربع الأرباع بالكوفة والبصرة ، وأول من جلس الناس بين يديه على الكرسي من أمراء العرب ، وأول وال سارت الرجال بين يديه تحمل الخراب والعمد ، كما كانت تفعل الأعاجم . وقال الأصمعي : الدهاة أربعة : معاوية للروية وعمرو بن العاص للبلدية والمغيرة بن شعبة للمعضلة وزياد لكل كبيرة وصغيرة.

انظر المزبد في : تاريخ ابن خلنود ٥/٣ - ١٥ ، الكامل ٣/ ١٩٥ ، تاريخ الطبري ١٦٢/٦ ، تهذيب ابن عساكر ٤/ ٤٠٦ ، ميزان الاعتدال ١/ ٣٥٥ ، لسان الميزان ٢/ ٤٩٣ ، البدء والتاريخ ٢/ ١ ، الدررمة ١/ ٣٣١ ، خزنة الهمداني ٢/ ٥١٧ .

(١) ورد ذكره في الكامل ومروج الذهب .

(٢) ورد ذكره في طبقات ابن سعد .

وكتب إلى زياد يعلمه ذلك . فلما قدم أعين نزل عند زياد وجمع رجالاً ثم سار إلى قومه فبعه عدد قليل فنهض عن معه لقتال ابن الحضرمي ومن معه فواقفهم يوماً ثم أنصرف فقتله قومه غدراً .

فلما قتل أعين أراد زياد قتال بني تميم فأرسلت تميم إلى الأزد (إننا لم نعرض لجاركم فما تريدون منعاهم) وكان زياد قد لجأ إلى الأزد فأجاروه وحموه ، فكتب زياد إلى الإمام على يخبره بقتل أعين وما جرى ، فأرسل على جارية بن قدامة السعدي التميمي وبعث معه خمسين رجلاً من تميم (ويروى خمسمائة) وكتب إلى زياد يأمره بمعونة جارية والإشارة عليه ، فلما قدم جارية البصرة حذره زياد ما أصاب أعين فأقام جارية في الأزد وقرأ كتاب على إلى أهل البصرة يوبخهم ويتهدهم ويتوعدهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم . ثم سار جارية إلى قومه بني تميم وقرأ عليهم كتاب على ووعدهم فأجابته الأزد وكثير من تميم فسار بن تبعه لقتال ابن الحضرمي فالتقيا بالقرب من قصر سنبل السعدي وكان على غيل ابن الحضرمي عبد الله بن حازم السلمي فاقتلوا ساعة فأنزله ابن الحضرمي وتحصن بقصر سنبل ^(١) فأحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمي وسبعون رجلاً معه وعاد زياد إلى القصر ورجع إلى عمله بعد أن تغلب عليه ابن الحضرمي واضطره إلى الالتجاء بالأزد هرباً ^(٢) منه وعلى أثر ذلك عاد إلى البصرة عبد الله بن العباس .

(١) قصر سنبل كان مخفياً للفرس فلما فتح المسلمون العراق صار ملكاً لهم ثم صار لسنبل السعدي فعرف به وكان حوله خندق وكان بالقرب من البصرة .

(٢) ويروى أن ابن الحضرمي لم يتمكن من دخول البصرة فبقى حولها يشن الغارات وقيل أنه تغلب عليها وهرب منه زياد ولجأ إلى الأزد فأجاروه حتى ثاب الناس واجتمعوا فطرد ابن الحضرمي وأقام على عمله حتى عاد ابن العباس .

فلما كانت سنة ٤٠ هـ وشى أبو الأسود الدؤلى ^(١) على عبد الله بن عباس فأرسل الإمام على إلى عبد الله يعاتبه ويحاسبه في الخراج وكتب إلى أبي الأسود يأمره بمراقبة أمور البصرة ، فأعتاظ ابن عباس وكتب إلى الإمام على (ابعت إلى عملك من أحببت فأني ظاعن عنه والسلام) وأستدعى أخواله من بني هلال بن عامر ^(٢) فأجتمعت معه قيس كلها فسار من البصرة إلى مكة ، فضيع الإمام على زعيماً كبيراً يتبعه عدد كبير كما ضيع أمثاله بتدقيقه الشديد في محاسبتهم والمبالغة في المحافظة على الدين في الوقت الذي طمع فيه العمال في

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى واضع عالم النحو ، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والخاصة الجواب ، من التابعين . رسم له على بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو ، فكتب فيه أبو الأسود وأخذته عنه جماعة . ولد سنة ١ ق هـ / ٦٠٥ م ، ومات سنة ٦٠٩ هـ / ٦٨٨ م . وفى صحيح الأعمشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتونين لا غير . سكن البصرة في خلافة عمر ، وولى إمارتها في أيام على ، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز ، ولم يسزل في الإمارة إلى أن قتل على . وكان قد شهد معه " صفين " ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ معاوية في إكرامه وهو في أكثر الأقوال أول من نطق بالمصحف ، وله شعر جيد . مات بالبصرة .

انظر المزيد في : صحيح الأعمشى ٣ / ١٦١ ، وفيات الأعيان ١ / ٢٤٠ ، الإصابة ٤٣٢٢ ، تهذيب ابن عساكر ٧ / ١٠٤ ، المرزبانى ٢٤٠ ، إنباء الرواة ١ / ١٣ ، خزائن البغدادى ١ / ١٣٦ ، الذريعة ١ / ٣١٤ .

(٢) انظر المزيد في : تاريخ ابن خلدون ٦ / ١١ - ٥٧ : سبائك الذهب ٤٠ - ٤١ ، الاستقصاء ١ / ١٦٦ ، البيان والإعراب ٣٦ ، جهرة الأنساب ٢٦١ - ٢٦٢ ، نهاية للقلقشندي ١٥٢ ، ٣٥٦ ، خلاصة تاريخ تونس ٩٣ - ٩٥ ، قبائل العرب في مصر ١ / ٥٥ ، معجم قبائل العرب ١٢٢١ .

الأحكام وفسدت نياتهم وأتخذ بعض أعدائه قتل عثمان ذريعة للوصول إلى عرش الخلافة ومنهم معاوية الذى ابتاع الأحزاب بالمال وأجذب كبار الرجال بالدهاء .
ولما استقال عبد الله بن عباس من إمارة البصرة ولّى الإمام على عليها
حمران بن أبان فبقي على عمله إلى أن قتل الإمام فى الكوفة فى ١٧ رمضان سنة
٤٠ هـ / ٦٦١ م ، وتولى الخلافة ابنه الحسن . فلما سلم الحسن لمعاوية الأمر
وتنازل له عن الخلافة فى ربيع الأول سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م ، بعد أن حكم ستة
أشهر عصى حمران بالبصرة^(١).

البصرة فى عهد الأمويين

لما استقل معاوية بن أبى سفيان بالخلافة وتم له الأمر سنة ٤١ هـ ووجه
الولاء إلى الأمصار وكان حمران بن أبان قد تغلب على البصرة بعث معاوية بسر بن
أرطاة^(٢) بجيش فانتزع بسر البصرة من حمران وتولى إمارتها ستة أشهر ثم عزله

(١) ويرى أنه وثب على البصرة وتغلب عليها فى أثناء تنازل الحسن لمعاوية .

(٢) هو بسر بن أطة أو (ابن أبى أرطاة) العامرى القرشى أبو عبد الرحمن قائد فقال من
الجباليين ، ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
حديثين (فى مسند أحمد) ثم كان من رجال معاوية بن أبى سفيان وشهد فتح مصر
ووجهه معاوية سنة ٣٩ هـ فى ثلاثة آلاف إلى المدينة فأخضعها وإلى مكة فأحتلها ،
والى اليمن فدخلها . وكان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب على ، فقتل
منهم جميعاً . وعاد إلى الشام ، فولاه معاوية على البصرة سنة ٤١ هـ بعد مقتل على
وصلح الحسن ، فمكث سيراً وعاد إلى الشام فولاه البحر ، فغز الروم سنة ٥٠ هـ
فبلغ القسطنطينية ، وأصيب بعد ذلك فى عقله ، فلم يزل معاوية مقرباً له ، مدينياً =

معاوية في أواخر هذه السنة (سنة ٤١ هـ) وولى على البصرة عتبة بنن أبي سفيان ^(١) وضم إليه خراسان وسجستان ثم عزله في سنة ٤٣ هـ وأرسل بدله عبد الله بن عامر بن كريز (الذى كان أميرها في أيام عثمان وضم إليه خراسان. وكان ابن عامر هذا كثير الحلم لنا فطمع به أهل البصرة واستخفوا بالحكومة وخالفوا أوامرها فعزله معاوية في سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م وبعث مكانه الحرث بن عبد الله الأزدي ^(٢) (ويروى الحرث وهو من أهل الشام). فلما وصل الحرث إلى

= مولته وهو تلك الحال إلى أن مات سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، في دمشق، وقيل في المدينة عن نحو تسعين عاماً .

انظر المزيد في : الإصابة ١/ ١٥٢ ، قذيب ابن عساكر ٣/ ٢٢٠ - ٢٢٥ ، ميزان الاعتدال ١/ ١٤٤ .

^(١) هو عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أمير مصر . ولها من قبل أخيه معاوية فقدمها سنة ٤٣ هـ ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطاً ، فأبتن داراً في حصنها القديم وتولى بها سنة ٤٤ هـ . وكان عاقلاً لصيحاً مهيباً من فحول بنى أمية ، شهد مع عثمان يوم الدار وشهد يوم الجمل مع عائشة وفقت عنه ورحب بالناس سنة ٤١ هـ وسنة ٤٢ هـ . قال الأصمعي : الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان .

انظر المزيد في : الروض الأنف ١/ ١٢١ ، السيرة الجلية ٢/ ١٣٨ ، نسب قريش ١٢٥ ، ١٥٣ ، النجوم الزاهرة ١/ ١٢٢ - ١٢٤ ، رغبة الأمل ٤/ ٣٣ ثم ٨/ ٥٩ أو ٢٧١ .

^(٢) هو الحرث بن عبد الله بن وهب الأزدي الثمري الدوسي صحابي من العقلاء ذوى الرأى . كان صديقاً خالداً بن الوليد قلماً يفارقه وخالداً ثقة برأيه يستشير به أمره وشهد معه اليرموك ثم شهد صفين مع معاوية وولاه معاوية على البصرة سنة ٤٥ هـ لشبكاً أهلها ضعفاً فيه فاستغنى ولم تطل مدة إمارته وتولى في زمن معاوية =

البصرة ولى على شرطتها عبد الله بن عمرو الثقفى وأجتهدها الحرث فى إصلاح الأمور فعبز وكثر النهب والسلب والقتل وأمتنع أكثر الناس عن تسليم الخراج واستخفوا ببرجال الحكومة فلم يبق لها غير الاسم فعزله معاوية بعد أربعة أشهر وولى إمارة البصرة زياد بن أبيه وذلك فى سنة ٤٥ هـ^(١).

إمارة زياد على البصرة

زياد ابن أبيه أو ابن سمية هو أحد دهاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها استكتبه أبو موسى الأشعرى يوم كان أميراً على البصرة فى عهد عمر بن الخطاب ثم استخلفه عبد الله بن عباس على البصرة مدة فى أيام الإمام على . فلما اضطربت فارس ولأه الإمام على عليها فتمكن بدعائه من إيقاع الصقاق بين الثائرين وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت الفتن وزال الاضطراب وبقي على عمله حتى قتل الإمام على وتولى الحسن^(٢) وزياد على فارس فلما تناول الحسن لمعاوية عن

= سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م .

(١) انظر المزيد فى : تهذيب ابن عساکر ٣ / ٤٥١ ، النجوم الزاهرة ١ / ١٣٠ .
ويسروى أنه ولى البصرة بعد الحارث صبرة بن جندب ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان ثم عزله وولى زياداً فى سنة ٤٥ هـ ولكن ذلك غير صحيح .

(٢) هو الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وأخسرهم وثانى الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، ولد فى المدينة المنورة سنة ٣ هـ / ٦٢٤ م ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم ، كان عاقلاً حليماً عباً للخير ، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة . حج =

الخلافه بعث معاوية إلى زياد يطالبه في المال فكتب إليه (صرفت بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة إليه وحملت ما فضل على أمير المؤمنين رحمه الله) فكتب إليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك فامتنع زياد . فلما ولي معاوية بسراً على البصرة أمره باستقدام زياد فجمع بسر أولاد زياد في البصرة وحبسهم وهم عبد الرحمن وعبد الله وعبد، وكتب إلى زياد يقول : (لتقدمن أولاً قتلن بنيك) فامتنع زياد واعتزم بسر على قتلهم، فسار أبو بكره (هو أخو زياد لأمه) إلى معاوية فلما قدم عليه قال : (أن الناس لم يبايعوك على قتل الأطفال وإن بسراً يريد قتل بني زياد) فكتب معاوية إلى بسر يأمره بالإفراج عنهم فأطلق سراحهم .

= عشرين حجة ماشياً . وقال أبو نعيم : دخل أصبهان غارياً مجتازاً إلى غزاة جرجان ، ومعه عبد الله بن الزبير وبإيعاه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ ، أشار عليه بالسور إلى الشام غارياً معاوية بن أبي سفيان فأطاعهم وزحف بمن معه وبلغ معاوية خبره ، فقصده بجيشه ، وتقارب الجيشان في موضع يقال له " مسكن " بناحية من الأنبار ، فهال الحسن أن يقتل المسلمون ، ولم يستشعر الثقة بمن معه فكتب إلى معاوية فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة ٤١ هـ . وسمى هذا العام " عام الجماعة " لاجتماع كلمة المسلمين فيه وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن تولى مسموماً (في قول بعضهم) سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام . وولد له أحد عشر ابناً وبنت واحدة وإليه نسبة الحسينيين كافة .

انظر المزيد في : تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥ ، الإصابة ١/ ٣٢٨ ، تاريخ يعقوبي ٢/ ١٩٩ ، تهذيب ابن عساكر ٤/ ١٩٩ ، ذكر أخبار أصبهان ١/ ٤٤ و ٤٧ ، مقاتل الطالبين ٣١ ، حلية الأولياء ٢/ ٣٥ ، الكامل ٣/ ١٨٢ ، صفة الصفوة ١/ ٣١٩ ، تاريخ الخميس ٢/ ٢٨٩ و ٢٩٢ ، ذيل المنيل ١٥ .

وخاف معاوية من زياد فصاحه وأستقدمه إلى الشام واستلحقه بنسب أبيه
سفيان . ثم ولاه البصرة في سنة ٤٥ هـ / ٦٦٧ م .
ولما قدم زياد البصرة دخل مسجدها وصعد منبره فأجمع الناس فخطب
خطبته البتراء^(١) .

الخطبة

أما بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموقى بأهله على النار
ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور التي يثبت فيها الصغير ولا
يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب
الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا
يزول ، أنه ليس منكم إلا من طرقت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات ،
وأختار الفانية على الباقى ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم
تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف يقهر والضعيفة المسلوقة في النهار لاتنصر ،
والعبد غير قليل . والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم نفاة يمنعون الغواة عن دنج
الليل وغارة النهار ، فريتم القراية ، وباعدتم الدين ، تعتدرون بغير العذر ، وتفضون
على النكر . كل أمرئ منكم يرد عن سفيه صنع من لا يخاف عقاباً . ولا يرجو
معاداً . فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم اطلقوا
ورائكم كنوساً في مكاس الرب . حرام على الطعام والشراب حتى أضاع هذه
المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً . أتى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح

(١) سميت البتراء لأنه لم يفتحها بالحمد له والثناء .

به أوله . لين في غيره ضعف وشدة في غير عتف . وأنى أقسم بالله لأخذن الولي بالمولي . والمقيم بالطاعن والمطيع بالعاضى . حتى يلقى الرجل أخاه فيقول : أنج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم .

أن كذبة الأمير ببقاء مشهورة . فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصية . وقد كان بين وبين قوم أحن فجعلت ذلك دبر إذى وتحت قدمى . أئى لو علمت أن أحدكم قد قتل السل من بغضى لم أكشف له قناعاً . ولم أهلك له سراً حتى يبدى لى صفحته فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم قرب مبتس بقدمونا سيرر ومسرور بقدمونا سيئتس . أيها الناس أنا قد أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نوسبكم بسلطان الله الذى أعطانا ونلدود عنكم يفى الله الذى حولنا . فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحيينا . ولكم علينا العدل فيما ولينا . فاسترجوا عدلنا وفيتنا بمناصحتكم لنا .

فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الأدهم أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال زياد كذبت ذلك نبى الله داود .

واستعمل زياد الشدة والعنف وجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة فخافه الناس وماد الأمن وهذأت الأحوال . واستعمل عند دخوله البصرة على شرطته عبد الله بن الحصين^(١) وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل . وأستكثر من الشرطة والجند فبلغ عدد الشرطة أربعة آلاف شرطى وعدد الجند ثمانين ألف فى البصرة واستعان زياد فى تدبير شؤون الإدارة بجماعة من كبار

(١) هو عبد الله بن أبي الحصين الأزدي فارس ممن كان مع علي بن أبي طالب فى حرب صفين قتل فيها سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م .

انظر المزيد فى : الكامل ١١١ / ٣ ، وقعة صفين ١٦٩ - ١٧٠ و ٢٩٨ .

الرجال ، منهم أنس^(١) بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة^(٢) وسمرة بن جندب^(٣) وعبد الله بن الحصين" رئيس شرطة البصرة" فساد الأمن وسارت الأمور على أتم نظام وزادت عمارة البصرة وكثرت خيراتها وتهاافت إليها الناس من كل جانب

(١) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله صحة طويلة وحديث كثير . مات في سنة ٩٣ هـ .

انظر المزيد في : أسد الغابة ١ / ١٥١ ، الإصابة ١ / ٨٤ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٤٤ ، خلاصة تذهيب الكمال ٣٥ ، شذرات الذهب ١ / ١٠٠ ، طبقات الفقهاء ٥١ ، طبقات القراء لابن الجزري ١ / ١٧٢ ، العبر ١ / ١٠٧ .

(٢) هو عبد الله بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أبو سعيد صحابي من القادة الولاة . أسلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة مؤتة وسكن البصرة وأفتح سجستان وكابل وغيرهم ، وولى سجستان وغزا خراسان لفتحها مفتوحاً ثم عاد إلى البصرة فعزل فيها سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، كان اسمه في الجاهلية " عبد كلال" وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن له في الصحيحين ١٤ حديثاً .

انظر المزيد في : تذهيب التهذيب ٦ / ١٩٠ ، الإصابة ت ٥١٢٥ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٨٢ ، دول الإسلام للنهني ١ / ٢٦ ، نسب قریش ١٥٠ .

(٣) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري صحابي ، من الشجعان القادة . نشأ في المدينة ونزل البصرة ، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة ولما مات زياد أقره معاوية عاماً أو نحوه ثم عزله وكان شديداً على الحرورية . وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب " رسالة" إلى بنه ، قال ابن سيرين : فيها علم كثير ، مات بالكوفة وقيل بالبصرة سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م .

انظر المزيد في : الإصابة ت ٣٤٦٨ ، تذهيب التهذيب ٤ / ٢٣٦ ، غير ٢٩٥ ، الجمع ٢٠٢ .

ويروى أنه ولى قضاء البصرة عمران بن الحصين^(١) فاستقال فولى مكانه عبد الله ابن فضالة^(٢) ثم أخاه عاصماً^(٣) ثم زوارة بن أوى^(٤).
ولما مات المغيرة بن شعبه^(٥) أمير الكوفة في سنة ٥٠ هـ ، ويروى " في سنة ٤٩ هـ " ضم معاوية الكوفة إلى زياد وجمع له المصريين " البصرة والكوفة "

(١) هو عمران بن حصين أبو نجيذ الخزاعي، كان ممن بعثهم عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم ، وولى قضاء البصرة . وكان الحسن يملأ بالله ما قدم البصرة أحد غير لهم من عمران بن حصين . حدث عنه زوارة والحسن ومحمد بن سيرين وآخرون . له أحاديث عدة في الكتب ، وكان من الباء الصحابة وفضلهم . مات سنة ٥٢ هـ .
انظر المزيد في : أسد الغابة ٤ / ٢٨١ ، الإصابة ٣ / ٢٧ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٩ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٥٠ ، شذرات الذهب ١ / ٥٨ ، المعبر ١ / ٥٧ ، النجوم الزاهرة ١ / ١٤٣ .

(٢) ورد ذكره في تاريخ الطبري .

(٣) ورد ذكره في تاريخ البغوي .

(٤) له ترجمة وإلفية في تذهيب التهذيب لابن حجر المسقلائي .

(٥) هو المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود الثقفي أبو عبد الله أحد دعاة العرب ولقد اقدم وولاهم صحابي يقال له " مغيرة الرأي " ولد في الطائف سنة ٢٠ ق هـ / ٦٠٣ م ومات سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الإسكندرية والنداء على المقوقس ، وعاد إلى الحجاز . فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ فأسلم وشهد الحديبية واليمامة والفرج الشام وذهب عنه بالرموك وشهد القادسية ومناوند وحمذان وغيرها . وولاه عمر بن الخطاب على البصرة ، ففتح عدة بلاد وعزله ثم ولاه الكوفة وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعترضها المغيرة ، وحضر مع الحكمين . ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م . قال الشعبي : دعاة العرب أربعة : معاوية للأتاة ، وعمرو بن العاص للمعضلات ، والمغيرة للبدية ، وزباد بن =

وهى أول مرة ضمنا معاً أو أول مرة ضمت الولايتين لوال واحد، ثم ضم إليه خراسان وأضاف إليه سجستان ثم جمع له البحرين وعمان . فثبت زياد دعائم الملك لمعاوية . ومنذ ضمت إليه الكوفة في سنة ٥٠ هـ أخذ يقيم في الكوفة ستة أشهر ومثلها في البصرة ^(١) واستخلف على البصرة عند مسيره إلى الكوفة سمرة بن جندب فظلم سمرة أهل البصرة حتى قيل أنه قتل ثمانية آلاف منهم في مدة قصيرة فبلغ ذلك زياد فأنكر عليه عمله فعزله وولى مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان . ولما مات زياد بالكوفة في رمضان في سنة ٥٣ هـ أقر معاوية على البصرة عبد الله بن عمر بن غيلان ثم عزله في سنة ٥٥ هـ ولى مكانه عبيد الله ^(٢)

= أيمه للصغير والكبير . وللمغيرة ١٣٦ حديثاً . وهو أول من وضع ديوان البصرة وأول من سلم عليه بالإمرة في الإسلام .

الظر المزهد في : الإصطابة ت ٨١٨٩ ، أسد الغابة ٤ / ٤٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ / ١٣١ ، ذيل المنبيل ١٥ ، الكامل ٣ / ١٨٢ ، الجمع ٤٩٩ ، معجم المرزبانى ٣٦٨ ، رغبة الأمل ٤ / ٢٠٢ ، المغير ١٨٤ .

(١) وزيساد هو أول أمير سير بين يديه الرجال بالحرايب والعمد في الإسلام وأول من اتخذ الجرس خمسمائة لا يفارقون مكانه . وأول من جمع له العراقيين . وأول من شدد أمر السلطة وأول من توخى الشدة والعنف . وأول من رتب المراتب في الدخول على الخليفة أو الأمير وأول من قلد القوس بلبس قباء الديباج . وأول من اتخذ الكراسى .

(٢) ويروى أن معاوية ولى على البصرة بعد موت زياد سمرة بن جندب في سنة ٥٣ هـ ثم عزله في سنة ٥٤ هـ وجعل مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان فعادت الفتن بالبصرة فعزله في سنة ٥٥ هـ وولى عبد الله بن زياد فقمع الفتن وأعاد الأمن وكان قبل ذلك على خراسان من قبل معاوية .

ابن زياد^(١) ثم عزله في سنة ٥٩ هـ وبعد أيام قليلة أعاده إليها .
ومات معاوية في سنة ٦٠ هـ / ٦٨١ م ، وتولى بعده ولي عهده ابنه يزيد
الأول فأقر عبيد الله على البصرة .

كان ابن زياد مخلص النية لأبي سفيان شديداً على أعدائهم بل أنه كان أشد
من أبيه على الخوارج حتى قيل أنه قتل منهم يوم إمارته على البصرة عدداً عظيماً

(١) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه وال فاتح من الشجعان، جبار عظيم ولد بالبصرة سنة
٢٨ هـ / ٦٤٨ م ، وكان مع والده لما مات بالعراق فقصده الشام، فولاه " عمه "
معاوية خراسان (سنة ٥٣ هـ) فوجه إليها ثم قطع النهر إلى جبال بخاري على الإبل،
لفتح "راميش" ونصف "بيكند" . قال أحد من كانوا معه : ما رأيت أشد بأساً من
عبيد الله : لقينا زحف من الترك ، فرأيتهم يقاتلون فيحمل عليهم فيطعن فيهم ويغيب عنا
ثم يرفع رأيتهم تقطر دماً وأقام بخراسان سنتين ونقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها سنة
٥٥ هـ لقاتل الخوارج وأشدت عليهم . وأقره يزيد على إمارته سنة ٦٠ هـ وكتب
إليه " بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمصاخ وأحرس
على الظن، وخذ على العهمة، غير أن لا تقاتل إلا من قاتلك وأكتب إلى كل ما
يحدث " فكانت المفاجعة بمقتل الحسين رضي الله في أيامه وعلى يده . ولما مات يزيد سنة
٦٥ هـ بايع أهل البصرة لعبيد الله ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه ، فتثقل محبته إلى أن
استطاع الإفلات إلى الشام وأقام مدة قليلة ، ثم عاد يريد العراق فلحق به إبراهيم بن
الشتري في جيش يطلب ثأر الحسين ، فاقبلا ابن الأشتري وذلك في " خازر " من أرض
الموصل وكان خصوم ابن زياد يدعونه " ابن مرجانه " وهي أمه . مات سنة ٦٧ هـ /
٦٨٦ م .

انظر المزيد في : تاريخ الطبري ٦ / ١٦٦ قم ١٨ / ٧ و ١٤٤ ، عيون الأخبار
٢٢٩ / ١ ، رغبة الآمل ٥ / ١٣٤ ، ٢١٠ ثم ١١٢ / ٦ .

عدداً الذين قتلهم صبراً في سنة ٥٨ هـ وفيهم عروة بن أديّة^(١) أخو أبي بلال مرداس بن أديّة^(٢) وكان سبب قتله ان ابن زياد خرج في رهان له فلما جلس ينظر الخيل اجتمع الناس وفيهم عروة بن أديّة فقال خمس كن في الأمم قبلنا فقد صرن فينا (أثبتون بكل ربع آية تعيشون وتتخذون مصانع لكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) فلما سمع ذلك ابن زياد ظن أنه لم يجرئ عليه إلا ومعه جماعة من أصحابه فقام وركب وترك رهانه، فلام الناس عروة وقالوا له واله ليقتلنك فأعطف عروة فطلبه ابن زياد ثم قبض عليه فقتله ، فخرج مرداس أخو عروة في أربعين رجلاً بالأهواز واجتمع حوله جماعات فأرسل إليهم ابن زياد الفئ مقاتل تحت قيادة ابن حصن التميمي فاندحر جيش ابن زياد .

وفي أيامه إمارة ابن زياد على البصرة قدم الكوفة مسلم بن عقيل^(٣) داعية للحسين بن علي ، وكان على الكوفة يومئذ النعمان بن بشير^(٤) فبلغ ذلك يزيد

(١) ورد ذكره في تاريخ الطبري .

(٢) ورد ذكره في الكامل في التاريخ .

(٣) هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم تابعي من ذوى الرأى والعلم والشجاعة، كان مقيماً بمكة وأنتدبه الحسين (السلطان) بن علي ليصرف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبيعون له ، فرحل مسلم إلى الكوفة فآخذ بيعة ١٨٠٠٠ من أهلها وكتب للحسين بذلك فشر به عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة) فطلبه، فمنعه الناس ، ثم تفرقوا عنه ، فأوى إلى دار امرأة من كندة فآخفته ، ولم يلبث أن عرف مكانه فقبض عليه ابن زياد فقتله سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠ م .
انظر المزيد في : الكامل ٨ / ١٥ ، الأخبار الطوال ٢٣٣ ، تاريخ مختصر الدول ١٨٩ .

(٤) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله أمير خطيب شاعر من إجملاء الصحابة من أهل المدينة له ١٢٤ حديثاً . وجهته نائلة =

الأول فعزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى ابن زياد وكتب إليه يأمره بالقبض على مسلم وقتله أو نفيه من الكوفة ، وفي الوقت الذي ورد فيه كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وصل كتاب الحسين بن علي إلى شيعته من أهل البصرة مع مولى له اسمه سلمان يقول لهم فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي ^(١))

= (زوجة عثمان) بقميص عثمان ، إلى معاوية فرل الشام وشهد صفين مع معاوية وولى القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد سنة ٥٣ هـ وولى اليمن لمعاوية ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر ، وعزله وولاه حص واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية ، فهاجم النعمان لابن الأثير وقرى أهل حص فخرج هارباً ، فاتبعه خالد بن علي الكلابي فقتله وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة . قال ابن حزم : أفتح مروان دولته بقتله وسبق إليه رأسه من حص سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م وقيل قتل يوم مرج راهط قال يماك بن حرب : كان من أخطب من سمعت له " ديوان شعر " وهو الذي تنسب إليه " معرة النعمان " بلد أبي العلاء المعري ، كانت تعرف بالمعرة .
النظر المزيد في : تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٤٧ ، جمهرة الأنساب ٣٤٥ ، أسد الغابة ٥ / ٢٢ ، الإصابة ت ٨٧٣٠ ، حسن الصحابة ١٦٠ ، فتح البلدان ١٣٨ .

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي العدناني أبو عبد الله السبط الشهيد ابن فاطمة الزهراء . وفي الحديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ولد في المدينة سنة ٤ هـ / ٦٢٥ م . ونشأ في بيت النبوة وإليه نسبة كثيرة من الحسينين وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرض الأمويين . وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما مات وخلفه ابنه يزيد ، تخلف الحسين عن مبايعته ، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه ، فأقام فيها شهراً ودعاه إلى الكوفة أشياخه (وأشياخ أبيه وأخيه من قبله) فيها ، على أن يبايعوه بالخلافة ، وكتبوا إليه أنهم في جيش مستهيء للوثوب على الأمويين ، فأجابهم وخرج من مكة في مواليه ولساله وذواريه ونحو الثمانين من رجاله . وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء (بالعراق - قرب الكوفة) فقتل قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح =

إلى مالك بن مسمع^(١) .

= شديدة، وسقط عن فرسه ، فقتله سنان بن أنس النخعي (وقيل الشعر بن ذى الجوشن) وأرسل رأسه ونسأله وأطفأه إلى دمشق (عاصمة الأمويين) فظاهر يزيد بالحزن عليه . واختلطوا في الموضع الذي دفن فيه الرأس فليل في دمشق ، وقيل في كربلاء ، مع الجثة وقيل في مكان آخر، فصدت المرائد، وتعدت معرفة مدفنه وكان مقتله رضى الله عنه يوم الجمعة عاشر المحرم ، وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين ولا سيما الشيعة .

انظر المزيد في : قليب ابن عساكر ٤ / ٣١١ ، عطلت مبارك ٥ / ٩٣ ، مقاتل الطالبين ٥٤ ، ٦٧ ، الكامل ٤ / ٩٩ ، تاريخ الطبري ٦ / ٢١٥ ، تاريخ الحميس ٢ / ٢٩٧ ، تاريخ الهقوي ٢ / ٢١٦ ، صفة الصفوة ١ / ٣٢١ ، ذيل المذيل ١٩ ، حسن الصحابة ٨٧ .

(١) هو مالك بن مسمع بن شيان البكري الربيعي أبو غسان سيد ربيعة في زمانه ، وكان مقدماً رئيساً . ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . قال المبرد : وإليه تنسب المسامعة وذكر المسعودي أنه كان في جملة من انضاف إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد حين قدم البصرة من مكة ، ناكثاً ربيعة عبد الله بن الزبير وقتلهم مصعب بن الزبير ، فأفترموا بعد حروب إلى الشام سنة ٧١ هـ . وقال ابن قتيبة : لم يل شيئاً قط ، وهلك في أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة ، وعقبه كثير . وكان أعور ، أصيبت عينه في معركة بالجفرة (موضع بالبصرة) ويقال ساد الأحنف بجملة ، وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له . مات سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م .

انظر المزيد في : الإصابات ٨٣٦٩ ت ، المعارف ١٨٤ ، التقاليف ١٠٩٠ ، اغبر ٣٠٢ ، معجم ما استعجم ٣٨٧ ، رغبة الأمل ٦/٣ و ٤٨ - ٥١ ، مروج الذهب ٥ / ٢٤١ ، الأغاني ١٠ / ٧٢ ثم ١١ / ٢٨٣ ، الكامل ٤ / ١٠٤ .

والأحنف بن قيس ^(١) والمنذر بن الحارث ^(٢)

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المزي السعدي الثقفي التميمي أبو بحر سيد تميم وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب المثل في الحلم ولد في البصرة سنة ٣ ق هـ / ٦١٩ م وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره . وولد على عمر حين آلت الخلافة إليه في المدينة ، فاستبقاه عمر ، فمكث عاماً ، وأذن له فعاد إلى البصرة ، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري " أما بعد فأذن الأحنف وشاوره وأصح منه . إلخ " وشهد الفتح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع علي . ولما انظم الأمر لمعاوية عاتبه . فأغلظ له الأحنف في الجواب ، فسئل معاوية عن صبره عليه ، فقال : هذا الذي إذا غطيت غضب له مائة ألف لا يدرون فيم غضب . وولي خراسان . وكان صديقاً لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوفد عليه بالكوفة فسوى فيها سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م وهو عنده ، أخبار كثيرة جداً وخطبة وكلماته مطروقة في كتب التاريخ والأدب والبلدان ، حرية بالجمع . قال رجل ليحيى البرمكي : أنت والله أحلم من الأحنف بن قيس ، فقال يحيى : ما يقرب إلينا من أعطانا فوق حقنا .

انظر المسيزد في : طبقات ابن سعد ٦٦/٧ ، وفيات ابن خلكان ١/ ٢٣٠ ، ذكر أخبار أصبهان ١/ ٢٢٤ ، جهرة الأنساب ٢٠٦ ، قذيف ابن عساكر ٧/ ١٠ ، السور ٨١ ، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩ ، تاريخ الإسلام ٣/ ١٢٩ .

(٢) هو المنذر بن الحارث (وأسمه بشر) بن عمرو بن خنيس العبدي أمير من السادة الأجواد ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع علي رضي الله عنه وولاه علي إمرة إصطخر . ثم بلغه عنه ما ساءه ، فكتب إليه " أما بعد فإن صلاح أهلك غررني منك وظننت أنك تتبع هدي وتسلك سبيله ، فإذا أنت فيما رقي إلى عنك لا تسدح لمساوك انقياداً ولا تبقى لأخوتك عتاداً ، تعمر دنياك إلخ . كما في نهج البلاغة . وعزله . ثم ولاه عبيد الله بن زياد نجر الهند سنة ٦١ هـ فمات فيها آخر السنة ويقال أنه كان يرى رأى الخوارج .

ومسعود بن عمرو^(١) وقيس بن الهيثم^(٢)، سلام عليكم . أما بعد أني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع فإن تحيوا تقتلوا سبيل الرشاد والسلام) ، فكنتموه

= الظاهر المزيدي : الإصابة ت ٨٣٣٦ ، جهرة الأنساب ٢٧٩ ، رغبة الأمل ١٤٤ / ٧ ، الأغاني ١ / ١٧٧ ، فتح البلاغة ٤ / ٣٩٤ .

(١) هو مسعود بن عمرو العتكي زعيم من بني عتيك من الأزد من اليمانيين كان رئيس الأزد وربيعة في البصرة وهو الذي سهل لأمر البصرة "عبد الله بن زياد" الحرب إلى الشام وذلك أنه ولما وصل إلى البصرة لدى يزيد بن معاوية . انقضت أهلها على "عبد الله" وأرادوا قتله ، فبحث عن مكان يحميه ، فلم يجد وكان معه الحارث بن قيس ابن صهبا الجهمي الأزدى . فقال له عبد الله : " قد علمت مولدة مسعود بن عمرو في قومه ، وشرفه وسنه وطاعة قومه له ، فاذهب بي إليه : فدخلوا على مسعود ، فأتواهم وأرسل معه مائة من الأزد أوصلوه إلى الشام وغلبت البصرة من أمير ، فأنفرد بنو قيس بمبايعة "عبد الله بن الحارث الهاشمي" وأدخلوه دار الإمارة ولم يرض به كبار الأزد وربيعة ومصر ، فرأسوا عليهم العتكي . وركب فدخل من في السجون . وفي مجملتهم جماعة من الخوارج (من الخوارج) أكثرهم من بني قيس حملوا سلاحهم ودخلوا المسجد . وكان العتكي أشار مرة على عامل البصرة بحبس نافع بن الأزرق وعطية الأسود (وهما من رؤوس الأزارقة) فحفظوا عليه فيمنما هو مسعوس في خطبته ، يامر بالسنة وينهى عن الفتنة ، أحاطوا به وهو غافل عنهم فقتلوه سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م .

الظر المزيدي : نقائض جرير والفرزدق ١١٣ ، جهرة الأنساب ٣٥٠ ، الكامل ٥٣ / ٤ - ٥٥ ، رغبة الأمل ١٢٥ - ١٢٨ - ١٢٧ / ٧ .

(٢) هو قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي من الخطباء الشجعان من أعيان البصرة في صدر الإسلام . كان من أنصار بني أمية فيها ثم قام بدعوة "عبد الله ابن الزبير" وصحب أخاه "مصعباً" في ثورته إلى أن قتل سنة ٨٥ هـ / ٨٠٤ م فتوجه إلى عهد الملك بن مروان فبغا عنه وأكرمه تولى بالبصرة .

جميعاً إلا المنذر بن الجارود فإنه فشاها لتزويجه ابنته هند من ابن زياد فدخل عليه وأخبره بالكتاب فطلب ابن زياد رسول الحسين وقبض عليه وقتله .

وعلى أثر ذلك استخلف ابن زياد على البصرة أخاه عثمان بن زياد وسار هو إلى الكوفة فخرج لتشييعه جماعة من أشراف البصرة فيهم المنذر بن الجارود وشريك بن الأعور^(١) ، فوصل ابن زياد الكوفة وجرى ما جرى هناك من خيانة الكوفيين وغدرهم وقتل مسلم ثم قتل الحسين بن علي في محرم سنة ٦١ هـ وسودت هذه الحادثة المؤلمة صحائف تاريخ بنى أمية .

وعلى أثر حادثة كربلاء ظهرت الخوارج وعظم أمرها فوجه ابن زياد جيشاً لقتالهم بالأهواز فاندحرت عساكره فاغتاط حتى كان لا يدع بالبصرة أحداً ممن يتهم برأى الخوارج إلا قتله حتى قيل أنه قتل بالتهمة والظنة تسعمائة رجل من البصريين .

ولما مات يزيد الأول في سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م تفاقم أمر الخوارج وزادوا بمن التحق بهم من البصريين وغيرهم ممن كانوا على رأيهم فاضطربت البصرة وصار أهلها فرقاً وأحزاباً وكان ابن زياد يومئذ بالبصرة فلما بلغه نعي يزيد نادى الصلاة

انظر المزيد في : الكامل ٤ / ٥٣ و ٩٥ و ١٠٤ و ١١٩ و ١٢٦ ، جبهة الأنساب ٢٥٠ ، مروج الذهب ٥ / ١٩٥ .

(١) هو شريك بن جدير الثقفي أحد الأبطال من أصحاب علي ، شهد معه " صفين " وأصبحت عينه وأقام في بيت المقدس بعد علي ، فلما بلغه مقتل (الحسين) لبث ينتظر من يطالب بثأره ، فظهر المختار الثقفي يدعو إلى ثار الحسين فأقبل إليه شريك . وسار مع إبراهيم بن الأشتر لقتال ابن زياد في أرض الموصل . فكانت له في هذه الحرب مواقف هائلة وقتل فيها سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م بعد أن شهد مصرع ابن زياد . انظر المزيد في : الكامل في التاريخ ٤ / ١٠٣ .

جامعة ، فأجتمع الناس بالمسجد فصعد ابن زياد المنبر وقال : (يا أهل البصرة أن مهاجرنا إليكم ودارنا فيكم ومولدى فيكم ولقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتلكم إلا سبعين ألفاً ولقد أحصى اليوم مائة ألف ، وما كان يحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفاً ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً وما تركت لكم قاطبة من أخافه عليكم ، لا وهو في سجنكم ، وأن يزيد قد تولى وقد اختلف الناس بالشام وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرضهم فناء وأغنى الناس وأوسعهم بلاداً فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم فانا أول راض من رضىتموه فإن أجمع أهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وأن كرهتم ذلك كنتم على أحد يليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم) ، فقالوا له : قد سمعنا مقاتلك وما تعلم أحداً أقوى عليها منك فهلهم فلنبايعك ، فأبى عليهم ذلك ثلاثاً ثم بسط يده فبايعوه بالإمارة وانصرفوا عنه بمسحون أيديهم بحيطان المسجد وعبد الله لا يشعر بهم ويقولون ، أيعظن ابن مرجانة أنا نقاد له في الجماعة والفرقة .

وظن ابن زياد أنهم صدقوه وأنهم بايعوه بنية خالصة فبعث إلى أهل الكوفة من يطلب بيعتهم له فأبوا ذلك وأمروا عليهم عامر بن مسعود حتى يجتمع الناس ثم كتبوا إلى ابن الزبير بمكة يبايعونه بالخلافة ، فلما علم البصريون بما فعله الكوفيون خلعوا طاعة ابن زياد وسخروا منه واحتقروه (ويروى أنهم هموا بقتله) فخاف على نفسه فاستجار بالحرث بن قيس الأزدي ثم بمسعود بن عمرو سيد الأزدي فأجأه ثم هرب بحاشيته من العراق إلى الشام بعد أن أخذ من بيت المال مليوناً وتسعمائة ألف درهم .

واجتمعت كلمة البصريين على توجيه الإمارة لعبد الله بن الحرث بن نوفل فولوه عليهم إلى أن يجتمع الناس على إمام وذلك في السنة نفسها ٦٤ هـ وهم يومئذ لا إمام لهم والخواارج قد صاروا على قاب قوسين أو أدنى منهم .

وخاف البصريون على أنفسهم من الخوارج فأجتمعوا على توجيه مسلم ابن عبيس القرشي لقتالهم وجعوا له خمسة آلاف فارس وسيروه فالتقى مسلم بالخوارج فكسروا جيشه ووقع هو قتيلاً في المعركة في محل يسمى الدولاب ، فجهزوا جيشاً ثانياً (زهاء عشرة آلاف راجل) وأودعوا القيادات إلى عثمان بن معمر القرشي وسيروه لقتال الخوارج فلحقهم بفارس فدارة الدائرة على جيش البصريين ووقع قائده عثمان قتيلاً .



خروج البصرة من يد الأمويين

وعلى أثر ما تقدم كتب البصريون إلى عبد الله بن الزبير بمكة يعلمونه أن لا إمام لهم ويبايعونه بالخلافة ويسألونه أن يوجه إليهم رجلاً من قبله يتولى أمر البصرة ^(١) فوجه إليهم عمرو بن عبد الله بن عمر التميمي وذلك في سنة ٦٤ هـ وكان البصريون يومئذ منقسمين إلى فرق وأحزاب فأضطرب أمر الإدارة على الأمير فعزله ابن الزبير وولى مكانه الحرث بن أبي ربيعة المخزومي وذلك في سنة ٦٥ هـ (وسماه بعضهم الحارث) . ولما وصل الحرث إلى البصرة جمع أهلها واستشارهم في رجل يوليه حرب الخوارج ، فطلبوا القائد المشهور المهلب بن أبي صفرة ^(٢) وكانت الخوارج المعروفين بالأزارقة قد استولوا حينذاك على

(١) وكان عبد الله بن الزبير قد خرج على يزيد الأول بمكة بعد مقتل الحسين واجتمع عليه أهل مكة وبايعوه بالخلافة فدانت له بعض الأقطار فلما مات يزيد قوى أمر ابن الزبير وبايعه أهل البصرة والكوفة .

(٢) هو المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي أبو سعيد أمير بطاش جواد ، قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق ، ولد في دها سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م ونشأ بالبصرة وقسّم المدينة مع أبيه في أيام عمر . وولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير وفقت عينه بسمرة وانتدب لقتال الأزارقة وكانوا قد غلبوا على البلاد ، وشرط له أن كل بلد يجلبهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة ، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاماً لقي فيها منهم الأهوال وأخيراً تم له الظفر بهم ، فقتل كثيرين وشرّد بقيتهم في البلاد ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، فقدمها سنة ٧٩ هـ ، ومات =

أصفهان والأهواز وما بينهما وتوجهوا نحو البصرة حتى أقربوا منها ، وكان المهلب قد قدم من عند عبد الله بن الزبير إلى البصرة وقد ولاء خراسان ، فاجتمع أشراف البصرة وأميرها الحرث وأحضروا المهلب وطلبوا منه أن يتولى حرب الخوارج فأعذر بعهدته على خراسان أولاً ثم لبى طلبهم وانتخب من البصريين من يعرف شجاعته ومجده اثني عشر ألف مقاتل (ويروى عشرون ألفاً)^(١) ويار حتى التقى بالخوارج وصار يزيحهم مرحلة بعد مرحلة حتى أنهوا إلى منزل من الأهواز وهناك حدثت بين الفريقين معركة هائلة كاد أهل البصرة يهزمون لولا ثبات المهلب وقوة جأشته . وأصاب المهلب ضربة في وجهه أغمى عليه منها ، فظن أصحابه قد مات فهاجموا وهجموا هجمة المستميت فقتلوا عدداً كبيراً من الخوارج فيهم زعيمهم نافع بن الأزرق (وقيل عبيد الله بن الماحوز) وأهزم الباقون هزيمة منكرة إلى كرمان وجانب أصفهان .

وبلغ أهل البصرة أن المهلب قد قتل فرجت المدينة بأهلها وهم أمير البصرة الحرث أن يهرب ، وبينما هم في خوف واضطراب إذا قبل رسول المهلب يشرهم بسلامته وبالنصر ومعه كتاب المهلب يعرفهم بالظفر وما حدث فاستبشروا بذلك

= سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م ، كان شعاره " هم لا يتصرون " وهو أول من اتخذ الركب من الحديد - وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب - وأعباءه كثيرة .

انظر المزيد في : الإصابات ٨٦٣٥ ، الوفيات ١٤٥ / ٢ ، رغبة الأمل ٢٠١ / ٢ و ٢٠٤ و ٣ / ٦ - ١١٦ ، الكامل ١٨٣ / ٤ .

(١) ويروى أن أمير البصرة وأشرافها كتبوا إلى ابن الزبير في تسير المهلب فكتب ابن الزبير إلى المهلب وهو يومئذ بالبصرة يأمره بحرب الخوارج ، والمهلب هذا هو الذي سماه ابن السكيت سيد أهل العراق وهو من أكبر قواد ذلك العصر وتوفي سنة ٨٣ هـ بخراسان وكان والياً عليها .

واطمئنوا إليه وأقام أمير البصرة بعد أن هم بالحرب وأرسل كتاب المهلب إلى ابن الزبير وذلك في سنة ٦٥ هـ وبقي المهلب يطارد الخوارج مدة طويلة .

وفي أيام إمرة الحرث بن أبي ربيعة أرسل مروان بن الحكم في سنة ٦٥ هـ جيشين أحدهما يقوده ابن زياد إلى إخضاع الجزيرة وولاه إياها على أن يسير بعد فستحها إلى العراق لأخذه من ابن الزبير ، والثاني يقوده حبيش بن دجلة لقتال عامل ابن الزبير في المدينة (يثرب) فأتى حبيش على أمير المدينة فأرسل أمير البصرة الحرث جيشاً من البصرة تحت قيادة حنيف التميمي لمجدة لأمر المدينة فأنذر حرث حبيش ووقع هو قتلاً في المعركة وعادت فلول جيشه إلى الشام . أما ابن زياد فإنه لما وصل الجزيرة أتاه كتاب عبد الملك بن مروان يخبره بموت أبيه مروان ويستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق ، فسار حتى إذا كان بعين السوردة قابلته عصابة كبيرة مقبلة من العراق تحت قيادة سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي ^(١) فتقاتلوا فقتل سليمان ومعظم جيشه وأقام ابن زياد هناك يترقب الفرص للزحف على العراق .

أما عبد الله بن الزبير فإنه لما بلغه ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب عزله وولى البصرة عبد الله بن معمر وذلك في سنة ٦٥ هـ وفي هذه السنة حدث طاعون بالبصرة وفتك بأهلها فماتت به أم الأمير عبد الله ثم مات هو أيضاً فولى ابن الزبير على البصرة ابنه حمزة وكان ضعيف الرأي والتدبير فعجز عن إدارة

(١) سليمان هذا فُضّ بالكوفة للأخذ بشار الحسين فاجتمع حوله خلق كثير وسجوا أنفسهم السرايين وهم الذين سلكوا على علم نصرهم الحسين بن علي فقاموا للأخذ بشاره وساروا من الكوفة لقتال ابن زياد ولكنهم تمزقوا في الوقت الذي قام فيه المختار مطالبا بدم الحسين في العراق وأنقم من قاتليه .

الإمارة واحتقره البصريون فعزله أبوه وأعاد الحرث بن أبي ربيعة وذلك في سنة ٦٦ هـ .

وفي أثناء تلك الفوضى السائدة في العراق وغيره كان قد خرج المختار بن عبيد الثقفي ^(١) بالعراق مطالباً يدم الحسين بن علي فاستولى على الكوفة في

^(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق من زعماء الثائرين على بني أمية وأحد الشجعان الأقدمين . من أهل الطائف أنقل منها إلى المدينة مع أبيه ، في زمن عمر . وتوجه أبوه إلى العراق فاستشهد يوم الجسر وبقي المختار في المدينة متقطعاً إلى بني هاشم وتزوج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخته " صفية بنت أبي عبيد " ثم كان مع علي بالعراق ، وسكن البصرة بعد علي . ولما قتل "الحسين" سنة ٦١ هـ أعرف المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده وحسبه . ونفاه بشفاعته ابن عمر إلى الطائف . ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ وقام عبيد الله ابن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده وحسبه ونفاه بشفاعته ابن عمر إلى الطائف ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ وقام عبد الله بن الزبير في المدينة يطلب الخلافة ذهب إليه المختار وعاهده وشهد معه بداية حرب الحصين بن غير ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعوا الناس إلى طاعته ، فوثق به وأرسله ووصى عليه ، غير أنه كان أكبر همه منذ دخل الكوفة أن يقتل من قاتلوا " الحسين " وقتلوه فدعا إلى إمامة " محمد بن الحنفية " وقال إنه استخلفه ، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سرّاً فخرج بهم على وإلى الكوفة عبد الله بن مطيع فغلب عليها وأستولى على الموصل وعظم شأنه وتبع قتل الحسين . فقتل منهم ثمر بن ذى الجوشن الذي باشر قتل الحسين وخولى بن يزيد الذي سار برأسه إلى الكوفة وعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذي حاربه . وأرسل إبراهيم بن الأشتر في عسكر كثيف إلى عبيد الله بن زياد الذي جهز الجيش لحرب الحسين ، فقتل ابن زياد ، وقتل كثير من كان لهم ضلع في تلك الجريمة . وكان يرسل بعض المال إلى صهره ابن عمر وإلى ابن عباس وإلى ابن الحنفية ، فيقبلونه . وشاعت في الناس أخبار عنه بأنه أدعى النبوة ونزول الوحي عليه وأنه كان =

سنة ٦٦ هـ / ٦٧٥ م وقاتل قاتلى الحسين وظفر بجم وقتلهم وفيهم شمر بن ذى الجوشن^(١) وعمر بن سعد بن أبي وقاص^(٢) وحفص بن عمر^(٣) والمذكور وغيره وبعث برؤسهم إلى محمد بن الحنفية لجل الإمام على ثم حارب عبد الله بن زياد فاستولى على الموصل ولم يزل يقاتل ابن زياد حتى قتله واحرق جسده في سنة ٦٧ هـ بعد أن هزم جيوشه، ولكنه كان غير مخلص النية لأحد لأنه من جملة الطامعين بالسيادة في أثناء تلك الفوضى فكان يدعو الناس إلى بيعة محمد بن الحنفية ظاهراً وهو يريد لها لنفسه باطلاً ولم يكن محمد راضاً بتلك الدعوة فكتب إليه يتبرأ منه

= لا يوقف له على ملحق ونقلوا عنه أسجاعاً، قبل كان يزعم أنها من الإهام. وعمل مصعب بن الزبير وهو أمير البصرة بالنيابة عن أخيه عبد الله على خضد شوكة المختار، فقاتله ونشبت وقائع أنهت بحصر المختار في الكوفة وقتله ومن كان معه سنة ٦٧ هـ / ٦٨٧ م ومدة إمارته سنة عشر شهراً .

انظر المزيد في : الإصابات ت ٨٥٤٧ ، الفرق بين الفرق ٣١ - ٣٧ ، الكامل ٨٢ / ٤ - ١٠٨ ، تاريخ الطبری ١٤٦/٧ ، الحور العين ١٨٢ ، ثمار القلوب ٧٠ ، فرق الشيعة ٢٣ ، معجم المرزبانى ٤٠٨ ، الأخبار الطوال ٢٨٢ - ٣٠٠ ، الذريعة ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(١) هو شمر بن ذى الجوشن وأسمه شرحبيل بن قرط الضبابي الكلابي أبو السابعة من كبار قتلة الحسين الشهيد رضى الله عنه . كان في أول أمره من ذوى الرياسة في هوازن موصوفاً بالشجاعة وشهد يوم صفين مع على ثم أقام في الكوفة . مات سنة ٦٦ هـ / ٦٨٦ م .

انظر المزيد في : الكامل ٩٢ / ٤ ، ميزان الاعتدال ٤٤٩ / ١ ، لسان الميزان ١٥٢ / ٣ ، جمهرة الأنساب ٢٧٠ ، اللباب ٢٠ / ٦٩ .

(٢) ورد له ترجمة في قليب التهذيب .

(٣) ورد له ذكر في الإصابة .

فحول دعوته ابن الزبير فحدث بينهما اختلاف فيما أنفقه المختار من بيت المال
فخلع المختار طاعة ابن الزبير وأستقل بالكوفة وكتب إلى علي بن الحسين يروغه في
الخلافة على أن يكون هو وأهل الكوفة أول مبايعيه . فلم يجبه علي إلى ما طلب ،
فغشسى ابن الزبير استفعال أمر المختار فولى أخاه مصعباً العراقيين وعهد إليه أن
يقاتل المختار وأن يستعين بالمهلب بن أبي صفرة وأن يصلح شؤون المصريين (البصرة
والكوفة) وذلك في سنة ٦٧ هـ .

إمارة مصعب بن الزبير^(١)

على العراق

تقدم ذكر الأسباب التي دعت عبد الله بن الزبير أن يولى أخاه مصعباً إمارة
العراقيين في سنة ٦٧ هـ / ٦٨٧ م خصوصاً وأنه كان خائفاً من أن يحمل
عبد الملك بن مروان على العراق وليس هناك من هو كفؤ لملاقاته من القواد
اغتكين . ولما قدم مصعب البصرة دخلها ملتجئاً فدخل المسجد وصعد منبره فقال
الناس (أمير أمير) فأجمعوا وجاء الأمير المعزول (الحرث) فسفر مصعب لثامه
لعرفه ، وأمر مصعب الحرث بصعود المنبر فأجلسه تحته بدرجة ، ثم قام مصعب
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) انظر المزيد في : تاريخ الإسلام ٣ / ٢٠٨ ، طبقات ابن سعد ٥ / ١٣٥ ، نسب قريش

٢٤٩ - ٢٥٠ ، رغبة الأمل ١ / ٨٥ ثم ٣ / ١٢٤ و ١٧٠ ، ٥ / ٢٣٥ و ٦ : ٣٨

بِنَسَمِ السِّلَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * تَتْلُو
عَلَيْكَ مِنْ تَحْتِ مَوْسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * (إلى قوله) مِنْ الْمُفْسِدِينَ
(فأشار بيده نحو الشام) ، وَتُرِيدُ أَنْ كُفَّنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَغْنَوْا فِي الْأَرْضِ
وَنَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (وأشار نحو الحجاز) .

وَتُرِيدُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (وأشار نحو الكوفة)
ثم قال : يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمرائكم وقد لقيت بالجزار ، ويروى أنه
قال : يا أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد عليكم أحد إلا لقبموه وأنا ألقب نفسي
بالجزار - فصاروا يلقبونه بالجزار - ومكث مصعب في البصرة أياماً .

ثم استقدم المهلب بن أبي صفرة ليستعين به كما أمره به أخوه عبد الله وجاله
أشراف الكوفة وهو بالبصرة وطلبوا منه أن يسير لتخليص الكوفة من المختار فجند
جيشاً عظيماً قاده بنفسه ومعه أشراف البصريين وسار إلى الكوفة لقتال المختار
فالتقى به وبعد عدة معارك حدثت بينهما معركة عنيفة دامت ثلاثة أيام متواليات
فانهزم المختار فحصره مصعب وقتله ونزل رجاله على حكم مصعب وكانوا سبعة
آلاف (ويسروى ثمانية آلاف) فقتلهم كلهم صيراً وبعث برأس المختار إلى أخيه
عبد الله ابن الزبير بمكة وذلك في سنة ٦٧ هـ وبقتل المختار ثم امر ابن الزبير في
العراق وهدأت أحوال البصرة وغيرها . وبقي مصعب تارة يمكث في البصرة وآونة
بالكوفة .

فلما كانت سنة ٧٠ هـ أرسل عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن
أسيد إلى البصرة ليشر القبائل التي حولها على ابن الزبير . فوصل خالد مستخفياً في
خاصته ونزل على عمرو بن أسمعع الباهلي فبلغ ذلك صاحب شرطة البصرة عباد
ابن الحصين فسار إليه يطلبه ولم يكن يومئذ مصعب بالبصرة فانهزم خالد والتجأ
بخالد بن مسمع فاجاره وأرسل إلى قبيلتي بكر بن وائل والأزد فاتته فرسان القبيلتين

وأول راية وصلته راية بنى يشكر، فبلغ ذلك ابن الحصين فأقبل في الخيل فتواقفوا
بغير قتال فلما كان الغد سار خالد بن معاذ إلى محل يسمى الجفرة فجاءه مدد من
عبد الملك بن مروان عليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان . وفي الوقت نفسه أرسل
مصعب ألف فارس مدداً لابن الحصين فاشتبكوا في القتال وكانت الحرب سجالاً
بين الفريقين وبعد معارك دامت أربعة وعشرين يوماً اصطلموا على شرط أن يخرج
خالد من العراق فخرج وعلى أثر ذلك جاء مصعب إلى البصرة فاقام بها .

ولما كانت سنة ٧١ هـ سار مصعب بجماعة من رؤساء أهل العراق ووجوههم
واشرافهم قاصداً مكة . فلما وصل دخل على أخيه عبد الله فقال : (يا أمير
المؤمنين قد جئت بك رؤساء أهل العراق واشرافهم ، كل مطاع في قومه . وهم الذين
سارعوا إلى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك وناشدوا أهل معصيتك وسارعوا في قطع
عدوك ، فأعطهم من هذا المال) ، فقال عبد الله : (جئتني بعيد أهل العراق وتأمرني
أن أعطيهم من مال الله لا أفعل ، وأيم الله أني لو ددت أن أصرفهم كما تصرف
الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام) ، فقال رجل منهم :
(علقناك وعلقت أهل الشام) ثم انصرفوا وهم ناقدون عليه وقد يشبوا مما عنده
لا يرجون رفسه ولا يطعمون فيما عنده ، ويرى أنهم بعد أن رجعوا إلى العراق
اجتمعوا وأجمعوا على خلع ابن الزبير فكتبوا سراً إلى عبد الملك بن مروان أن أقبل
إليها .



رجوع البصرة إلى بني أمية

كان مروان بن الحكم قد مات في سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م وتولى مكانه ابنه الداهية عبد الملك فاشتغل بإخماد الثورات التي كانت في سورية ثم أرسل في سنة ٧٠ هـ خالد بن عبد الملك ليثير القبائل العراقية على ابن الزبير (كجس النبط) فلما انتهى من اشغاله في سورية في سنة ٧٢ هـ استعد لقتال عبد الله بن الزبير وكان قد بلغه ما جرى في العراق على يد المختار ثم على يد مصعب وما حدث من الفتن والثورات حتى دانت البلاد العراقية لابن الزبير ، وبلغ عبد الله بن الزبير استعداد عبد الملك فكتب إلى أخيه مصعب بالكوفة يأمره بالمسير إلى الشام لقتال عبد الملك فاستعد مصعب للمسير وجهز الجيوش وجعل على مقدمته إبراهيم ابن الأشتر وفي الوقت نفسه جهز عبد الملك جيشاً عرمرماً وسار به من الشام قاصداً العراق لخاربة مصعب بن الزبير واستصحب معه جماعة من القواد الكبار وفيهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، فالتقى الجيشان بمسكن^(١) وذلك في سنة ٧٢ هـ.

وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافين وصديقين متحابين فبعث إليه عبد الملك ان اذن مني . أكلمك . فدنا كل واحد من صاحبه وتحنى الناس ، فسلم عبد الملك عليه وقال له : (يا مصعب قد علمت ما أجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من إخواني وصحبي والله أنا خير لك من عبد الله وانفع

(١) مسكن موضع بالعراق قريب من أوأنا على نهر دجيل عند دير الجاليتي .

منه لديك ودياك فتق بذلك متى وانصرف إلى وجوه هؤلاء القوم وخذ بيعة هذين المصريين (البصرة والكوفة) والأمر أمرك لا تعصى ولا تخالف وإن شئت اتخذتك وزيراً لا تعصى . فقال له مصعب : أما ما ذكرت في من تقى بك ومودتي وإخائي فذلك كما ذكرته ولكن بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن إليك وهو أقرب رحا مني إليك وأولى بما عندك فقتله غداً ، والله لو قتله في ضرب وحرب لمسك عاره ولما سلمت من أئمة ، وأما ما ذكرته من أنك خير لي من أخى فدع عنك أبا بكر وإياك وإياه لا تعرض له وأتركه ما تركك وأربح عاجل عافيته وأرج الله في السلامة من عاقبته ، فقال عبد الملك : لا تخوفني به فوالله أني لا أعلم منه مثل ما تعلم ، أن فيه ثلاث لا يسود بها أبداً . عجب قد ملأه ، واستغناء برأيه ويحل التزامه . فلما يئس عبد الملك من مصعب رجع إلى مقره وكتب إلى رؤساء العراقيين (البصرة والكوفة) الذين هم أمراء جيش مصعب يفسدهم عليه ويدعوهم إلى نفسه ويوعدهم غيراً أن أطاعوه ويهددهم شراً أن هم عصوه وجعل لهم أموالاً عامة وعهوداً وشروطاً . وكتب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي ^(١) قائلا مقدمة مصعب يجعل له وحده مثل جميع ما جعل لأصحابه على أن يخلعوا عبد الله بن الزبير ، فأجابه أكثرهم وشروطوا عليه شروطاً وسألوه الولايات لأن نياهم كانت قد فسدت على ابن الزبير حتى قيل أن أربعين زعيماً منهم سألوه ولاية

(١) هو إبراهيم بن مالك الأشتر بن الحارث النخعي قائد شجاع من أصحاب مصعب ابن الزبير . شهد معه الوقائع وولى له الولايات وقاد جيوشه في مواطن الشدة . وكان مصعب يعتمد عليه ويتق به وآخر ما وجهه إليه حرب عبد الملك بن مروان بمسكن فقتل ابن الأشتر ودفن بقرب سامراء . والنخعي نسبة إلى النخع (بنو النخع) قبيلة باليمن من مذبح وأخباره في كتب التاريخ وأثره .

أصبهان، فقال عبد الملك لمن حضره. ويحكم ما أصبهان هذه ، تعجبا ممن طلبها، كل ذلك جرى ومصعب لا يتصور القدر في أصحابه . فجاءه أحدهم وهو إبراهيم ابن الأشتر فأراه كتاب عبد الملك وأكد له أنه كاتب غيره ونصحه أن يستوثق منهم أو يقتلهم لئلا يكونوا سبياً لفشله فقال مصعب (ما كنت لا فعل ذلك حق يستين لي ذلك من أمرهم ، قال إبراهيم فاخري ، قال : وما هي ؟ قال : أحبسهم في السجن حتى يتبين ذلك ، فأبى مصعب ، فقال إبراهيم عليك السلام ورحمة الله وبركاته، وكان إبراهيم هذا قد قاتل لمصعب قبل ذلك دعنى أدعوا أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها أبداً وهي ما شرط الله ، فقال مصعب : لا والله لا أفعل. لا أكون قتلتهم بالأمس وأستصر بهم اليوم ، وعلى أثر ذلك اشتبكوا في القتال والتحم الجيشان فلما جرى وطيس الحرب حول هؤلاء الرؤساء ومالوا إلى عبد الملك وأنظموا إليه بجمعهم . ومصعب ينظر غليهم وقد ندم على عدم سماعه النصيحة من إبراهيم ولأت ساعة مندم وبقي في شذمة قليلة من المخلصين له ، فلما غدر أهل العراق بمصعب وانجلت خيانتهم قال لابنه عيسى : (يا بني أنج بنفسك فلن الله أهل العراق أهل الشقاق والنفاق) فقال عيسى : (لا خير في الحياة بعدك يا أباه) وظل يقاتل مع أبيه قتالاً شديداً حتى قتل هو وإبراهيم بن الأشتر وجماعة من أنصار مصعب وحمل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على مصعب فقال : أيها الناس أيها الأمير ، فقال مصعب غدركم يا أهل العراق ، لرفع عبيد الله سيفه ليضرب مصعباً فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة فجاء غلام لعبيد الله فضرب مصعباً بالسيف فقتله ثم حز رأسه عبيد الله وسار به إلى عبد الملك فلما رآه سجد شكراً لله وذلك في جمادى الآخرة سنة ٧٢ هـ ودفن مصعب في محل المعركة ولم يكن لفشله سبب غير غدر أهل المصريين (البصرة والكوفة) .

إمارة خالد^(١)

وعلى أثر ما تقدم بايع أهل العراق لعبد الملك بن مروان فدخل الكوفة باحسناً عظيم فبايعه أهلها . ولما سكن الحال ولى على البصرة خالداً بن عبد الله ابن خالد بن أسيد . وبعد أن دبر عبد الملك شؤون البلاد العراقية جهز الحجاج بن يوسف الثقفي بجيش كبير (قيل أرسل معه ألف وخمسمائة من أهل الشام عدداً أهل العراق) وسيره لقتال عبد الله بن الزبير بمكة فانتصر الحجاج ومات ابن الزبير قتيلاً في سنة ٧٣ هـ . وانتهت الخلافة ولم يبق إمام عبد الملك من مناظر . وكانت مدة حكم ابن الزبير على البصرة ثمانية سنوات (٦٤ هـ - ٧٢ هـ) أما أمير البصرة الجديد خالد بن عبد الله فإنه عزل المهلب بن أبي صفرة عن حرب الخوارج وولاه الأهواز وأرسل أخاه عبد العزيز بن عبد الله على حرب الخوارج فهزموه هزيمة منكرة ، فلما بلغ خالداً خبر الهزيمة كتب إلى عبد الملك يخبره بها ، فكتب إليه يقول : (أما بعد فقد قدم رسولك بكتابك تعلمني فيه بعضك أخاك على قتال الخوارج وهزيمة من هزم وقتل من قتل ، وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثني أنه عامل لك على الأهواز ، فلبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب إلى جنبك يهوى الخوارج وهو الميمون النقية الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن أبنائها انظر ينهض بالناس

(١) النظر المزيد في : الأغانى ١٩/ ٥٣ - ٦٤ ، قليب ابن عساكر ٦٧/ ٥ - ٨٠ ،

الوفيات ١/ ١٦٩ ، قليب التهذيب ٢/ ١٠٠ ، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٠٥ ،

الكامل والتاريخ ٤/ ٢٠٥ ثم ٥/ ١٠١ .

حتى تستقبلهم بالأهواز ومن واء الأهواز وقد بعث إلى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فإذا لقيت عدوك في عمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه إن شاء الله . فخرج خالد بجيش البصرة وجائه المدد من الكوفة (خمسة آلاف مقاتل) فسار حتى وصل الأهواز ففشلت جيوشه . فلما علم بذلك عبد الملك وراه غير ممثل لأمره عزله وضم البصرة إلى أخيه بشر بن مروان وذلك في سنة ٧٢ هـ وصارت له إمارة المصيرين (البصرة والكوفة) . وفي أيام إمارة خالد في سنة ٧٢ هـ اجتمع الزنوج بفرات البصرة ونهبوا وسلبوا ودمروا بعض القرى المجاورة للبصرة فجمع لهم خالد جيشاً فهزمهم وقبض على جماعة منهم فقتلهم . وعلى أثر ذلك اجتمع الزنوج وأمروا عليهم رباح الملقب بشير زنجي وساروا لقتال البصريين فحدثت بين الفريقين عدة معارك انحلت عن تمزيق الزنوج .

ولما ضم عبد الملك البصرة إلى أخيه بشر^(١) في سنة ٧٢ هـ استخلف على الكوفة عمرو بن حريث وسار إلى البصرة فورده كتاب عبد الملك يقول فيه : (أما بعد فأبعث المهلب في أهل مصره إلى الأزرقاء (الخوارج) ولينتخب من أهل مصره ووجوههم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فإنه أعرف بهم وخله ورأيه في الحرب فأني أوثق شيء بتجريته ونصيحته للمسلمين) . فدعا بشر المهلب وتلى عليه كتاب عبد الملك فلبى الأمر وشرعا بتجهيز الجيوش وجائتهم نجدة من الكوفة فسار المهلب بالجيوش حتى وصل رامهرمز وبها الخوارج وقبل الاشتباك بالحرب جاءهم نعي بشر بن مروان من البصرة وخبر إسناد إمارة البصرة إلى خالد

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي أمير كان سمحاً جواداً ولى إمارة العراقيين (البصرة والكوفة) لأخيه عبد الملك سنة ٧٤ وهو أول أمير مات بالبصرة سنة ٧٥ هـ .

انظر المزيد في : خزائن البغدادى ١١٧ / ٤ ، تذيب ابن عساكر ٣ / ٢٤٨ .

ابن عبد الله بن أسيد فرفض القتال كثير من أهل البصرة والكوفة فكتب إليهم يخالد يأمرهم بالعودة ويحذرهم المخالفة فلم يجد ذلك فيهم نفعاً وذلك في سنة ٧٣ هـ . وفي أيام بشر كثرت الخوارج في أطراف البصرة وأغاروا على القرى وخربوا عدة منها وقتلوا ونهبوا فجهز لهم بشر فمزق جمعهم.

إمارة الحجاج

دخلت سنة ٧٥ هـ الموافقة لسنة ٦٩٥ م فولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراقيين (البصرة والكوفة) ^(١) فوصل الحجاج الكوفة في أثنى عشر ركباً على النجائب وأرسل إلى البصرة الحكم بن أيوب الثقفي أميراً من قبله ، وبعد أيام قليلة سار الحجاج إلى البصرة فأستقبله الناس فلما وصلها دخل مسجدها وعطب خطبة تشابه خطبته بالكوفة وبعد أن هددهم وتوعدهم قال أن أمير المؤمنين أمرني بأعطائكم أعطيائكم وأن أوجهكم بخاربة عدوكم (يعني الخوارج) مع المهلب بن أبي صفرة ، وأنى أقسم بالله لا أجد رجلاً تحلف بعد أخذه عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه) ثم نزل فوضع للناس أعطيائهم فجعلوا يأخذون ، فجاءه رجل يشكرى فقال أيها الأمير أن بي فتقاً وقد رآه بشر بن مروان فعذرني وهذا عطائي مردود في بيت المال . فلم يقبل الحجاج عذره وقتله ، ففرز لذلك البصريون خصوصاً وأنهم كانوا قد حقدوا عليه وأضمرؤا له الشر منذ أغلظ لهم

(١) ثم ضم إليه في سنة ٧٨ هـ ولاية خراسان وسجستان .

القول في خطبته وقددهم ، فخرجوا حتى تداركوا على العارض بقنطرة رامهرمز
وخرج الحجاج حتى نزل رستاقاذاً ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب
ثمانية عشر فرسخاً فقام الحجاج في الناس فقال : (أن الزيادة التي زادكم ابن الزبير
في أعطياتكم لست أجزها) فقام إليه عبد الله بن الجارود العيدي وقال : (أنا
ليست بزيادة ابن الزبير ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك أثبتها لنا) فكذبه
الحجاج وتوعده وذلك في أوائل شعبان سنة ٧٥ هـ. ثم وجه الحجاج المهلب
لقتال الخوارج ووجه معه البصريين والكوفيين وظل المهلب يطارد الخوارج مدة
حتى قهرهم بعد أن جرت له معهم حروب عديدة لا محل لذكرها هنا وظل،
البصريون يضمرون الشر للحجاج حتى اجتمعوا سرّاً فبايعوا عبد الله بن الجارود^(١)
بالإمارة فخرج ابن الجارود في سنة ٧٧ هـ وتبعه وجوه البصرة فتجهز الحجاج
لقتالهم وبعد عدة معارك خاف أصحاب ابن الجارود من أن يمد عبد الملك الحجاج
بالجيوش فأنظمت إليه جماعة بعد أخرى حتى ألتماز أكثرهم إلى الحجاج وظل ابن
الجارود بشردمة قليلة فأنصر الحجاج وقتل زعيم الثورة ابن الجارود وجماعة من
أصحابه ودخل البصرة ظافراً . ثم حدثت الحروب المشهورة بين الحجاج وشيب
بالكوفة كان النصر في آخرها للحجاج .



(١) ورد ذكره في تاريخ الطبري .

إستيلاء

ابن الأشعث على البصرة

ولما بعث الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث إلى سجستان لقتال الفاترين هناك جهز عشرين ألفاً من البصرة ومثلهم من الكوفة وسيرهم معه إلى سجستان. فلما صالح ابن الأشعث الفاترين عزله الحجاج فاتفق ابن الأشعث مع رؤساء جيشه على الخروج على الحجاج فعادوا من سجستان فلما كانوا في فارس خلعوا عبد الملك بن مروان وبايعوا ابن الأشعث فسار بهم إلى العراق قاصداً قتال الحجاج ونفيه من البلاد وبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عبد الملك يخبره وسأله أن يوجه إليه الجنود من الشام. فبادر عبد الملك بإرسال الجنود والحجاج مقيم بالبصرة. وبعد قليل وصل ابن الأشعث العراق فالتقى جيشه بجيش الحجاج في تستر فأنكسرت مقدمة الحجاج وجائته الهزيمة فرجع ونزل الزاوية وجاءت جيوش ابن الأشعث حتى نزلت البصرة فبايعه أهلها وكان دخوله فيها في آخر ذي الحجة سنة ٨١ هـ .

وعلى أثر ذلك جمع الحجاج جيشه وجالته الإمدادات من سورية لتقابل الجيشان بالزاوية فأنكسرت جيوش ابن الأشعث فاضطر إلى الخروج من البصرة فخرج منها وسار إلى الكوفة. أما الحجاج فإنه ولى على البصرة أميرها السابق

الحكم بن أيوب الثقفي^(١) وسار هو بجيوشه في أثر ابن الأشعث وبعد حروب استمرت مدة طويلة انتصر الحجاج انتصاراً نهائياً في جمادى الآخرة سنة ٨٣ هـ وفر ابن الأشعث إلى سجستان وهناك مات منتحراً.

وفي أيامه في سنة ٨٠ هـ حدث بالبصرة طاعون لمات به خلق كثير وفر منه عدد كبير من البصريين وتفرقوا في البلاد.

ولما مات عبد الملك بن مروان في سنة ٨٦ هـ الموافقة لسنة ٧٠٥ م وتولى ابنه الوليد أقر الحجاج على العراق وخراسان والشرق كله وفي سنة ٨٧ هـ ولي الحجاج البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي^(٢) ثم مات الحجاج في سنة ٩٥ هـ الموافقة لسنة ٧١٣ م بمدينة واسط التي بناها في سنة ٨١ هـ بعد أن حكم العراق زهاء وعشرين سنة .

(١) هو الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي أمير هو ابن عم الحجاج . ولده الحجاج على البصرة لما كان في العراق ثم عزله ثم أعاده وقتله صالح بن عبد الرحمن الكاتب مع جماعة من آل الحجاج سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م مع جماعة من آل الحجاج في العذاب على إخراج ما اختزنوه من الأموال ، بأمر سليمان بن عبد الملك في خلافته .

(٢) هو الجراح بن عبد الله الحكمي أبو عقبة أمير خراسان وأحد الأشراف الشجعان دمشق الأصل والمولد ، ولي البصرة للحجاج ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز وعزله لشدة بلفه عنه ، فأقام إلى أن ولده يزيد بن عبد الملك إمارة أرمينية وأذربيجان ، فأنصرف إليها بميش كثيف، وغزا الحرز وغيرهم فافتتح حصن بلنجر وحصوناً أخرى ومات يزيد فأقره هشام بن عبد الملك زمناً ثم عزله سنة ١٠٨ هـ ، وأعاده سنة ١١١ هـ فأنصرف إلى الغزو والفتح فاستشهد غازياً بمرج أردبيل ، قتله الحرز سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م ورثاه كثير من الشعراء .
انظر المزيد في : الكامل ٥ / ٥٨ .

إستيلاء

ابن المهلب على البصرة

كان الحجاج لما حضرته الوفاة قد أستخلف على حرب المصريين يزيد بن أبي كيشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم وعلى الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج فأقرهم الوليد بن عبد الملك ، ثم ولى إمارة العراق في السنة نفسها يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة وذلك في سنة ٩٥ هـ .

فلما مات الوليد في سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م وبويع لأخيه سليمان بن عبد الملك ولى العراق يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ^(١) فأقام يزيد بالبصرة فلما

(١) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو خالد أمير من القادة الشجعان الأجواد، ولى خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ ، لمكث نحواً من ست سنين وعزله عبد الملك ابن مروان برأى الحجاج (أمير العراقيين في ذلك العهد) وكان الحجاج يحشى بأسه . فلما تم عزله حبسه ، فهرب يزيد على الشام . ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولاة العراق ثم خراسان فعاد إليها ، وأفتتح جرجان وطبرستان ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن أستخلف عمر بن عبد العزيز فعزله ، وطلبه فجئى به إلى الشام، فحبسه بحلب . ولما تولى عمر وثب غلمان يزيد ، فأخرجوه من السجن، وسار إلى البصرة فدخلها وغلب عليها سنة ١٠١ هـ ، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقيين مسلمة بن عبد الملك أنهت بمقتل يزيد سنة ١٥٢ هـ / ٧٢٠ م في مكان يسمى " العقر " بين واسط وبغداد وأخباره كثيرة .

انظر المسيزيد في : وفيات الأعيان ٢ / ٢٦٤ ، خزائن البغدادى ١ / ١٠٥ ، النخبة والإشراف ٢٧٧ ، رغبة الأمل ٤ / ١٨٩ ، معجم ما أستعجم ٩٥٠ ، تاريخ يعقوبى =

كانت سنة ٩٧ هـ نقله إلى ولاية خراسان وولى على البصرة بدله عبد الله بن هلال الكلابي ثم عزله في سنة ٩٨ هـ وجعل مكانه سفيان بن عبد الله الكندي.

ولما مات سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٩ هـ الموافقة لسنة ٧١٧ م وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ولى على البصرة عدى بن أرطاة الفزاري^(١) وولى قضائها إياس بن معاوية بن قررة بن إياس بن هلال^(٢) القاضي. المشهور وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن خراسان وأمر بالقبض عليه وإحضاره وكان يزيد يومئذ في خراسان فأقبل منها يريد العراق فلما دخل البصرة قبض عليه أميرها عدى بن أرطاة فحبسه ثم أوثقه وبعثه مخفوراً إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق ، فلما حضر سأل عمر عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال يزيد :

= ٥٢ / ٣ ، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٦٤ - ٦٩ و ٧٦ ، الكامل ٥ / ٢٩ ، تاريخ الطبري ٨ / ١٥١ ، هبة الأيام للبيهقي ٢٥٣ - ٢٦٧ .

(١) هو عدى بن أرطاة الفزاري أبو وائلة أمير من أهل دمشق كان من العقلاء الشجعان ، ولده عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ فاستمر إلى أن قتل معاوية بن يزيد ابن المهلب بواسط ، في ليلة أبيه (يزيد) بالعراق سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م .

انظر المزيد في : الكامل ٢ / ١٤٩ ، رغبة الأمل ٢ / ٢٦ ثم ٧ / ١٥٩ ، تاريخ البعقوبي ٣ / ٥٣ .

(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن قررة المزني أبو وائلة قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في القطنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه وركنه . قال الجاحظ : إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الخلد نقاباً ، عجيب الفراسة . ملهماً ، وجيهاً عند الخلفاء . تولى بواسط سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م وكان مولده سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م .

انظر المزيد في : البيان والبعين ١ / ٥٦ ، وفيات الأعيان ١ / ٨١ ، ثار القلوب ٧٢ ، ميزان الاعتدال ١ / ١٣١ ، حلية الأولياء ٣ / ١٢٣ ، الشريشي ١ / ١١٣ .

(كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وأما كجيت إلى سليمان لا سمع الناس وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني به) فقال عمر : (لا أجد في أمرك إلا حبسك فائق الله واد ما قبلك فأفأ حقوق المسلمين ولا يسعني تركها) فلما لم يجد عمر عند يزيد عدراً مقبولاً أمر بحبس بحصن حلب وأستمر يزيد بن المهلب في سجنه، فلما مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذي مات فيه في سنة ١٠١ هـ / ٧٢٠ م حس أن المهلب يقرب موت عمر فأعد للهروب عدته خوفاً من يزيد بن عبد الملك لعداوة بينهما فأفترم من السجن قاصداً البصرة وكتب إلى عمر : (إلى والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكني خفت أن يلي الخلافة يزيد ابن عبد الملك فيقتلني شر قتله) فوصل كتابه وبعمو رمق فقال : (اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه به وهضه فقد هاضني) .

ومات عمر بعد أيام قليلة وتولى مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فخلع طاعة بني مروان ولحق بالبصرة ودعا لنفسه فأجتمع حوسله فخلع وبلغ جيشه مائة وعشرين ألف مقاتل فحمل على البصرة بعد أن استولى على أطرافها وعلى فارس والأهواز ، فحسن البصرة أميرها عدى بن أرطاة ودافع عنها دفاعاً شديداً وبعد حروب استولى ابن المهلب على البصرة وقبض على عدى وجماعة من أصحابه فحبسهم واستعمل الشدة فهرب جماعة من أعيان البصرة إلى الشام وجماعة إلى الكوفة وذلك في سنة ١٠١ هـ / ٧٢٠م وقوى أمر ابن المهلب فخافه يزيد بن عبد الملك فجهز جيشاً كبيراً من الشام بلغ عدده ثمانين ألف

مقاتل وسيرة تحت قيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك^(١) وأرسل معه ابن أخيه العباس
ابن الوليد^(٢) وذلك في سنة ١٠٢ هـ .

أما ابن المهلب فإنه لما بلغه قدوم جيش ابن عبد الملك أستعد لملاقاته وجمع
أهل البصرة فاعتطب فيهم ودعاهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحثهم على جهاد بني
أمية وزعم أن قتال أهل الشام أعظم ثواباً من قتال الترك والديلم ، فأنضم إليه من
البصريين عدد كبير ، فلما قياً للمسير أصطف له البصريون صفيين وقد نصبوا

(١) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير قائد من أبطال عصره من بني أمية
في دمشق ، يلقب بالجرادة الصفراء له فحركات مشهورة ، سار في مائة وعشرين ألفاً
للمسزو القسطنطينية في دولة أخيه " سليمان " وبني " مسجد مسلمة " بالقسطنطينية
سنة ٩٦ هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية وخراسان الترك والسند سنة
١٠٩ هـ ومات بالشام سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م وإليه نسب " بني مسلمة " وكانت
منازلهم في بلاد الأتشيوليين (مصر) قال اللحي : كان أولى بالخلافة من سائر أخوته .
الظر المزيدي في : تهذيب التهذيب ١٠ / ١٤٤ ، نسب لقيش ٣١٥ ، دول الإسلام
١ / ٦٢ ، نهاية الأرب للقلقشندي ٣٣٩ ، تاريخ مختصر الدول ١٩٦ - ١٩٩ ،
رؤية الأمل ٥ / ١٦ و ٦٤ و ١١٨ ، المرزبان ٣٧٢ .

(٢) هو العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي أمير ، من كبار القادة كان يقال
له " فارس بني مروان " قاد الجيش مع عمه مسلمة بن عبد الملك إلى أن قتل يزيد بن
المهلب وأصبح مدناً وحصولاً كثيرة ، من بلاد الروم ، وأستعمله أبوه على حصص وولاه
الغازي غير مرة . قال المرزبان : كان يقيم في دينه واورد له شعراً . وكان له ثلاثون ابناً
ذكرهم أولاً أممهم ابن حزم وسجنه مروان بن محمد في " حران " فمات سجيناً سنة
١٣١ هـ / ٧٤٩ م .

الظر المزيدي في : تهذيب ابن عساكر ٧ / ٢٧٠ ، جبهة أنساب العرب ٨١ ، النجوم
الواهرة ١ / ٣٠٠ ، الخبر ٣٠٥ ، المرزبان ٢٦٤ .

الرايات والرماح وهم ينتظرون خروجه ويقولون : يدعوننا إلى سنة العمرين ، فأتفق أن مر الحسن البصري سيد فقهاء أهل البصرة فرأى الرايات والرماح وصغوف البصريين فقال : (كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء القوم رضاهم فلما غضب غضبة نصب قصاً ثم وضع عليها خرقاً ثم قال أنى قد خالفهم فخالقوهم فقال هؤلاء القوم نعم وقال أنى أدعوكم إلى سنة العمرين ، وأن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ثم يرد إلى حبس عمر الذى فيه حبسه) ويروى أن الحسن كان ممن حضر خطبة ابن المهلب فلما سمعها قال : (والله لقد رأيتك والياً وموالياً فما ينهى لك ذلك) فقام الناس فاسكروه خوفاً من أن يسمعه ابن المهلب .

ثم ولّى ابن المهلب أخاه مروان على البصرة (وقيل استخلف على البصرة ابنه معاوية) وخرج بجيوشه حتى أتى واسطاً فأقام بها أياماً ثم سار منها حتى نزل العقر وأقبل مسلمة بن عبد الملك فول بجيوشه على ابن المهلب فأشتبكوا في القتال فكانت بين الفريقين حروب هائلة دامت ثمانية أيام فلما حو طيس الحرب تفرق أصحاب ابن المهلب وثبت معه البصريون فاستمات ابن المهلب وهجم بأصحابه الصادقين هجمات هائلة لم يسمع بمثلها حتى قتل في يوم الجمعة ١٢ صفر سنة ١٠٢ هـ وقتل معه أخوه حبيب بن المهلب^(١) وجماعة من أصحابه المخلصين وفر من لجأ ، وقتل في هذه الحادثة ثمانية عشر ألف رجل من البصريين (ويروى ثمانية وعشرون ألفاً) فلما بلغ أهل البصرة خبر قتلاهم ارتجت المدينة وكثرت فيها المآتم حتى قيل أن المآتم دامت نحو سنة .

ولما انتهت فتنة ابن المهلب أسند يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان إلى أخيه مسلمة ، فاستخلف هذا الأمير على البصرة عبد الرحمن بن

(١) ولما بلغ آل المهلب بالبصرة خبر هذه الفاجعة قتلوا من كان في سجنهم وفيهم عدى بن أرطاة وحلوا عيالهم وأمواهم في السفن وساروا على كرمات وهناك تمزقوا .

سليمان الكلبي وذلك في سنة ١٠٢ هـ ثم عزل يزيد أخاه مسلمة في سنة ١٠٣ هـ وأرسل بدله عمر بن هبيرة الفزاري ^(١) فاستخلف ابن هبيرة على البصرة موسى بن عبد الله. فلما مات يزيد وتولى أخوه هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م أقر ابن هبيرة على العراق ثم عزله في سنة ١٠٦ هـ وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فأرسل خالد عقبة بن عبد الأعلى أميراً على البصرة حتى إذا كانت سنة ١٠٩ هـ عزله ووجه إمارة البصرة إلى ابان بن صبارة الهجري ثم عزله في سنة ١١٠ هـ فولى مكانه بلال بن أبي بكر " ويروى ابن أبي بردة " ^(٢)

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى الفزاري أبو المنى أمير من النخاعة الشجعان ، كان رجلاً أهمل الشام وهو بدوي أمي ، صحب عمرو بن معاوية العبلي في سيرة لغزو الروم ف أظهر بسالة وشارك في مقتل مطرف بن المغيرة الناري للحجاج الثقفي ، وأخذ رأسه فسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فسر به عبد الملك وأقطعهم إقطاعاً بسيرة (من قرى دمشق) . ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ولاية الجزيرة ، فوجه إليها وغزا الروم من ناحية أرمينية فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً . وأستمر على الجزيرة إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك ، فولاه إمارة العراق وخراسان ، فكانت إقامته في الكوفة ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ وولى خالد بن عبد الله القسري ، فحبسه خالد في سجن واسط . ولم يطل حبس ابن هبيرة فان غلبت له من الأورام حفرها إلى السجن وأحضروا له خيلاً ، فهرب ومعه ابنه يزيد وذهب إلى الشام فأنافح بباب مسلمة بن عبد الملك ، فكان واسطه عند هشام فرضى عنه هشام وآمنه ، ومات سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م .

انظر المزيد في : الكامل ٣٧ / ٥ - ٣٨ - ٤٦ ، رغبة الأمل ٧٧ / ٢ و ٢٢٩ ، ثم ٣ / ١٧٣ ثم ٦ / ٢٢٩ - ٢٣١ ، مروج الذهب ٥ / ٤٥٨ ، الجمعي ٢٨٧ - ٢٩٢ (٢) هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها ولاء خالد القسري سنة ١٠٩ هـ قالام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ =

وحسنم إليه قضاء البصرة وفي أول إمارته في سنة ١١٠ هـ مات بالبصرة الحسن البصري^(١) ومحمد بن سيرين^(٢).

= فعزله وحسنه فمات سجيناً سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م كان ثقة في الحديث ، ولم محمد سيرته في القضاء .

انظر المزيد في : تهذيب التهذيب ١ / ٥٠٠ ، خزائن بغدادى ١ / ٤٥٢ .

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وقيل جابر بن عبد الله وقيل أبو اليسر ولد لستين بقمنا من خلافة عمر . قال أبو بردة : أدركت الصحابة لما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن . وقال خالد بن زياد الملقب : سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له في ذلك فقال إنه قد سمع وسمعنا ، فحفظ ولسنا . وقال سليمان التيمي : الحسن شيخ أهل البصرة . مات في رجب سنة عشر ومائة .

انظر المزيد في : النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٧ ، وفيات الأعيان ١ / ١٢٨ ، ميزان الأعدال ١ / ٥٢٧ ، العبر ١ / ١٣٦ ، طبقات المفسرين للداودى ١ / ١٤٧ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٢٣٥ ، طبقات الفقهاء ٨٧ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٧١ ، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣ ، حلية الأولياء ٢ / ١٣١ ، خلاصة تهذيب الكمال ٦٦ ، شذرات الذهب ١ / ١٣٦ .

(٢) هو محمد بن سيرين الأنصارى أبو بكر بن أبي عمرة البصرى مولى أنس بن مالك . قال المعلى : من أروى الناس عن شريح وعبيدة . وقال ابن سعد : ثقة مأمون ، عال رفيع فقيه ، إمام كثير العالم والورع . وقال مورق المعلى : ما رأيت ألقه في روعه ولا أروع في فقهه منه . وقال عثمان التيمي : لم يكن بالبصرة أحد أعلم منه بالقضاء . وقال ابن حبان : ثقة فاضل حافظ متقن ، يعبر الرؤيا ، رأى ثلاثين من الصحابة .

انظر المزيد في : تاريخ بغداد ٥ / ٣٣١ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٧ ، تهذيب التهذيب ١ / ٢١٤ ، حلية الأولياء ٢ / ٢٦٣ ، خلاصة تهذيب الكمال ٢٩٠ ، شذرات الذهب ١ / ١٢٨ ، طبقات الفقهاء ٨٨ ، طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ١٥١ ، =

والشاعر المشهور الفرزدق^(١). وفي أيامه في سنة ١١٦ هـ حدث بالبصرة طاعون دام أكثر من شهر فمات به عدد كبير من البصريين، وفي أيامه أحصيت نفوس أهل البصرة بعد الطاعون فكانت ثلاثمائة ألف نسمة. ولما كانت سنة ١٢٠ هـ عزل هشام خالداً عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمر والفقفي فارسل يوسف كثير بن عبد الله السلمي أميراً على البصرة. فمات هشام في سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م وتولى بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل في سنة ١٢٦ هـ وجلس مكانه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فولى إمارة العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في السنة نفسها فاستخلف على البصرة المسور بن عمرو بن عباد.

وفي أيامه: ظهرت الدعوة العباسية ودخل البصرة سرّاً دعاة بني العباس فنشروا دعوتهم فاستجاب لهم كثير من البصريين خفية لأنهم كانوا قد سئموا حكم الأمويين فلما مات يزيد بعد ستة أشهر بويج لإبراهيم بن الوليد فخلع نفسه وباع

= العبر ١ / ١٣٥ ، النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٨ ، نكت الهميان ١٩٧ ، الوافي بالوفيات ٣ / ١٤٦ ، وفيات الأعيان ١ / ٤٥٣ .

(١) هو همام بن غالب بن صمصمة التميمي الدارمي أبو فراس الشهير بالفرزدق شاعر من النبلاء من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس يشبه بزهري بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى زهير في الجاهليين والفرزدق في الإسلاميين . وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهناجته هما أشهر من أن تذكر. كان شريفاً في قومه ، عزيز الجانب ، يحمي من يستجير بغير أبيه - وكان أبوه من الأجواد الأشراف - وكذلك جده . مات سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م .

انظر المزيدي : رغبة الآمل ١ / ١١٤ ، وفيات الأعيان ٢ / ١٩٦ ، طبقات ابن سلام ٧٥ ، معجم الشعراء ٤٨٦ ، الشعر والشعراء ٤٤٢ ، أمالي المرتضى ١ / ٤٣ - ٤٩ ، مفتاح السعادة ١ / ١٩٥ ، جمهرة أشعار العرب ١٦٣ .

مروان بن محمد في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م وفي كل هذه المدة كانت الفتن مستوائية في العراق بل أن المملكة الإسلامية كانت بعد هشام بن عبد الملك كشعلة نار ..

انقراض الدولة الأموية من البصرة

كان مروان بن محمد قد أقر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على إمارة العراق فخرج عليه الضحاك بن قيس^(١) فحدثت بينه وبين عبد الله بن عبد العزيز عدة حروب انتصر في أكثرها الضحاك ثم حل على البصرة وحاصرها ثمانية أيام حتى أضطر أميرها المسور إلى تسليمها فسلمها إلى الضحاك بعد أن أعطاه الأمان . وذلك في سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م فبلغ ذلك مروان فعزل عبد الله بن عمر عن

(١) الضحاك بن قيس الشيباني زعيم حروى من الشجعان النخاعة . خرج مع سعيد بن جندل سنة ١٢٦ هـ في مائتين من حروية الجزيرة . ومات سعيد (سنة ١٢٧ هـ) فخلعه الضحاك وباع له الشراة ، فقصده أرض الموصل ثم شهر زور واجتمعت عليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف . فسار إلى العراق واستولى على الكوفة وحاصر واسطاً فصالحه عاملها وكتبه أهل الموصل فأحتلها . وناهز عدد جيشه مائة ألف مقصده مروان (الخليفة الأموي) فالتقى بتواحي كفر تولا (من أعمال مازدين) فقتل الضحاك . قال الجاحظ في وصفه من علماء الخوارج ملك العراق وسار في خمسين ألفاً وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك وصلبا خلفه . انظر المزيد في : الكامل ٥ / ١٣٠ ، تاريخ الطبري ٩ / ٧٦ ، البيان السمين ١ / ٣٤٣ .

العراق وأرسل بدله يزيد بن هبيرة^(١) وسير معه جيشاً كبيراً لقتال الضحاك وغيره من الخوارج وبعد أن قمع يزيد من الكوفة من الخوارج سار إلى البصرة وحارب من حوضها من الخوارج إحدى عشر يوماً فاسترد البصرة وأهزم الضحاك فدخل يزيد البصرة ظافراً وضبط نواحيها وولى عليها شبيب بن شيبة^(٢) فساد الأمن فيها وذلك في سنة ١٢٩ هـ وعلى أثر ذلك ثار في العراق سليمان بن هشام بن

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد من بني فزارة أمير قائد من ولاية الدولة الأموية ، أصله من الشام . ولى قيسرين للوليد بن يزيد ثم جعت له ولاية العارقين (البصرة والكوفة) سنة ١٢٨ هـ في أيام مروان بن محمد . واسطحل أمر الدعوة العباسية في زمن إمارته . فقاتل أشباعها مدة ، وتغلبت جيوش خراسان على جيوشه فرجل إلى واسط وتحصن بها فوجه السفاح أخاه المنصور لخرجه فمكث المنصور زمناً بواسط يقاتله ، حتى أعياه أمره ، فكتب إليه بالأمان والصلح وأمضى السفاح الكتاب . وكان بنو أمية قد أنقضى أمرهم ، فرضى ابن هبيرة وأطاع . وأقام بواسط وعمل أبو مسلم الخراساني على الإيقاع به ، فنقض السفاح عهده له ، وبعث إليه من قتله بقصر " واسط " في غير طويل فاجع سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م . وكان غطياً شجاعاً ، ضخم الهامة / طويلًا جسيمًا وكان مولده سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م .

الظر المزبد في : وفيات الأعيان ٢ / ٢٧٨ ، خزائن البعدي ٤ / ١٦٧ - ١٦٩ ، فصح البلدان ٢٩٥ ، تاريخ الإسلام ٥ / ٣١٥ ، مروج الذهب ٦ / ٦٥ - ٦٦ ، مرآة الجنان ١ / ٢٧٧ .

(٢) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المنقري الأحمي أبو معمر أديب الملوك وجليس الفقهاء وأغصو المساكين من أهل البصرة . كان يقال له " الخطيب " لفصاحته وكان شريفاً من الدعاة ، يتادم خلقاء بني أمية ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . مات سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م .

انظر المزبد في : ميزان الاعتدال ١ / ٤٤١ ، ثمار القلوب ٢٢ ، البيان والتبيين ١ / ٦٢ ، تذييل التهذيب ٤ / ٣٠٧ .

عبد الملك وطلب الخلافة لنفسه وانضم إليه عشرة آلاف من البصريين وبابعوه بالخلافة ثم سار بجموع حروب مروان بالشام فلاقاه مروان فانتصر عليه وتمزقت جموع سليمان .

وفي أيام ابن هبيرة حدث بالبصرة في سنة ٢٣٠ هـ طاعون فمات به خلق كثير وعلى ذلك تولى إمارة البصرة مسلم بن قتيبة الباهلي في سنة ١٣١ هـ وفي أيامه قوى أمر بني العباس وظهرت دعوتهم فكانت الضربة القاضية على بني أمية .

ولما انتشرت عساكر العباسيين حصن البصرة مسلم بن قتيبة واستعد لصد دفاع فأرسل عبد الله السفاح مؤسس الدولة العباسية جيشاً كبيراً لأخذ البصرة بقيادة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ووجه إليه إمارة البصرة . فلما وصل سفيان طلب تسليم المدينة فأبى أميرها مسلم معتمداً على ما عنده من العدد والعدد إذ كان في البصرة حينذاك من بني أمية وكثير من ولاية الأمويين الذين فروا من خراسان بعد تغلب قواد بني العباس عليها ، وكان فيها أربعة آلاف مقاتل جاءت لمجدة إليه عدداً جيوش المدينة .

فلما رأى سفيان امتناع مسلم باشر الحرب فأشدت المعارك سبعة أيام متوالية فالتجلى عن انتصار جيوش بني العباس فدخل سفيان البصرة منصوراً وعلى يده انقضت دولة بني أمية من البصرة وذلك في سنة ١٣٢ هـ وقد قتل في هذه الحادثة عدد كثير من البصريين ونكبت هذه المدينة نكبة عظيمة يوم سقوطها إذا قام الرعاع فنهبوا وسلبوا وقتلوا . فنهبت أكثر الأسواق وخربت دور كثيرة قيل بلغ عددها سبعة آلاف داراً وأحصى من قتل في هذه الفتنة من أهل البصرة فكانوا إحدى عشر ألفاً .

ولما دخل القائد العباسي سفيان أعلن الأمان وأمر مناديه فاجتمع الناس في المسجد فخطب فيهم لبني العباس فبايع الناس للسفاح ثم شرع في تنظيم شؤون إمارته ثم قبض على جماعة من بني أمية الذين كانوا في البصرة فقتلهم وصلب جثثهم وكتب بالفتح وبالخبر على الخليفة السفاح بالكوفة .

تتمة لما مر

كان الأمويون كثيرون الأهتمام بشؤون البصرة لأهمية موقعها الجغرافي والتجاري والسياسي ولكونها وسطاً بين سورية والحجاز وفارس وبين النهرين ولذلك اتخذوها في بعض الأحيان مقراً لإمارة العراق .

ولما رأى الناس اعتنائهم الشديد بهذه المدينة تماقتوا إليها من كل الجهات حتى أصبحت في عهدهم من أعظم مدن الشرق وصارت مهذاً للعلوم والفنون والآداب ومركزاً للتجارة والصناعة ومجتمعاً لكبار الرجال من العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء وغيرهم .

ومع وجود الفتن والأضطرابات أحياناً حول المدينة وأخرى في داخلها كانت عمارتها في أيامهم تزداد عاماً فعاماً حتى بلغت مساحتها في أيام إمارة خالد ابن عبد الله القسري ٣٦ ميلاً مربعاً عدى المغارس التي بها البساتين والأثمار ، وبالغ بعضهم فقال: بلغت أثمارها التي تجرى فيها الزوراني في أيام إمارة بلال بن أبي بردة مائة وعشرين ألفاً .

وكان الولاة في عهدهم يتصرفون في الإمارة ويجبون الأموال وينفقون منها على الجند وفي ما تقتضيه الحالة وعلى العمارة من إصلاح الجسور وحفر الترع

وغير ذلك ثم يرسلون ما بقى إلى بيت المال في مركز الإمارة العامة (الكوفة) .
أو على بيت المال في العاصمة (دمشق) .

وكانت البصرة إمارة العراق في عهدهم تسمى إمارة العراقيين لا شتمالها
على البصرة والكوفة . وكان كل أمير يتصرف في إمارته تصرف الملوك المستقلين.
ومع وجود الاضطرابات في العراق فقد بلغ معدل خراج العراق في غيامهم
(١٣,٠٠٠,٠٠٠) درهم سنوياً .

البصرة في عهد العباسيين

قامت دولة بني العباس في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ واتخذ السفاح
مدينة الكوفة مقراً له فبعث في السنة نفسها عساكره لأخذ البصرة من الأمويين
فانسلخت منهم على يد القائد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كما تقدم
ذكره وكان السفاح قد أسند إمارة البصرة على سفيان المذكور وهو أول عامل
لبنى العباس على البصرة. ثم عزله ^(١) في سنة ١٣٣ هـ وولى عليها عمه سليمان
ابن علي ^(٢) وضم إليه السواد ودجلة والبحرين وعمان فزهت البصرة في أيامه
وعمر ما غرّب منها في الفتن الماضية .

(١) ويرى أن السفاح عزل سفيان هذا في أواخر سنة ١٣٢ هـ وولى البصرة سفيان بن
عينة المهلبى .

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير عباسى من الأجواد المدوحين ولاء ابن
أخيه (السفاح) إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة ١٣٣ هـ
فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة ١٣٩ هـ فلم يزل في البصرة إلى أن تولى سنة
١٤٢ هـ / ٧٥٩ م ، وكان مولده سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م .

فلما مات السفاح بالهاشمية في سنة ١٣٦ هـ وتولى أخوه أبو جعفر المنصور أقر عمه سليمان بن علي على البصرة ولكنه عزله في سنة ١٣٩ هـ وولى عليها سفيان بن معاوية (مرة ثانية) وأمره بقتل عمه عبد الله بن علي الذي كان قد ألتجأ بأخيه سليمان بن علي يوم إمارته على البصرة على أثر خروجه على الخليفة، وأمره بقتل حاشيته وكل من تحزب له من البصريين ففتك سفيان بجماعة كبيرة من البصريين لتحزيمهم على عبد الله .

وسفيان هذا هو الذي قتل عبد الله بن المقفع^(١) بالبصرة في سنة ١٤٢ هـ بسبب ما أقام به من الزندقة والكيد للإسلام بترجمته كتب الزنادقة . وفي أيامه: حفر في سنة ١٤٠ هـ أبو الخصيب مرزوق مولى أبي جعفر المنصور تمراً في جنوبي البصرة فسمى باسمه (تمر أبي الخصيب وهو المعروف بهذا الاسم حتى اليوم) وغرس عليه نخيلاً وأشجاراً وبنى على صدره قصراً فخماً .

= انظر المزيد في : تاريخ الطبري ٩ / ١٧٩ ، دول الإسلام للنهي ١ / ٧٣ ، تهذيب ابن عساكر ٦ / ٢٨١ ، فوات الوفيات ١ / ١٧٧ .

(١) هو عبد الله بن المقفع من أئمة الكتاب وأول من عنى في الإسلام بترجمة كتب المنطق . أصله من الفرس ، ولد في العراق سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م مجوسياً (مزركيّاً) وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح) وولى كتابة الديوان للمنصور العباسي وترجم له " كتب أرسطوطاليس " الثلاثة في المنطق المعروف بآيساغوجي وترجم عن الفارسية كتاب " كليلة ودمنة " وهو أشهر كتبه وألشأ رسائل غاية في الإبداع ، منها " الأدب الصغير " و " الأدب الكبير " و " اليعتمة " وأقم بالزندقة ، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبى سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م . قال الخليل بن أحمد : ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله .

انظر المزيد في : أمراء البیان ٩٩ - ١٥٨ ، أخبار الحكماء ١٤٨ ، لسان الميزان ٣ / ٣٦٦ ، أمالي المرتضى ١ / ٩٤ ، البداية والنهاية ١٠ / ٩٦ .

وفي أيامه: ثار عينة بن موسى بن كعب في البصرة في سنة ١٤٢ هـ وخرج على الخليفة فقدم الخليفة إلى البصرة بجيش كثيف فقمع تلك الفتنة قم أمر ببناء جسر من القوارب والخشب في البصرة وعمر ما كان قد خرب من المدينة وأمن السيل ورجع إلى مقره .

فتنة إبراهيم بن عبد الله واستيلائه على البصرة

فلما كانت سنة ١٤٥ هـ قدم البصرة من الحجاز إبراهيم بن عبد الله ابن الحسين بن الإمام على بثلاثين ألف مقاتل فدخل البصرة وبايعه أهلها ثم أرسل من استولى على الأهواز وواسط وكان أخوه محمد بن عبد الله قد خرج بالمدينة (يثر) على أبي جعفر المنصور فبايعه أهلها بالخلافة ولقبوه بالمهدي وبالنفس الزكية فلما كثرت أتباعه وقوى أمره أرسل أخاه إبراهيم هذا لقتال أبي جعفر المنصور في العراق ومحو الدولة العباسية معتمداً على ميل أكثر العراقيين وأهل فارس لبني على وفاته أنهم لم يخلصوا النية لأحد في الجاهلية ولا في الإسلام وأنهم هم الذين غدروا بأسلافه.

فلما بلغ ذلك أبا جعفر المنصور داهية بنى العباس وزعيمهم أستعد لملاقاته، وكان قد أرسل قبل قدوم إبراهيم ابن أخيه عيسى بن موسى بجيش كثيف إلى الحجاز لقتال محمد بن عبد الله فقاتله وقتل أنصاره وفي الأخير قتله وقتل جموعه وفلسك بكثير من العلويين ثم عاد إلى العراق فأمره بقتال إبراهيم وكان إبراهيم قد وصله نعي أخيه وما حل بأمره فحمل على الكوفة فلما لاقاه عيسى تمكن بمهارته

الحربية وحسن سياسته وتدييره من تمزيق جيش إبراهيم وقتله، وقد قتل في هذه الحرب عدد كثير من البصريين الذين انضموا إلى إبراهيم قبل كان عددهم عشرين ألفاً .

فلما انتهى أبو جعفر المنصور من فتنة إبراهيم بالبصرة ولى عليها في أواخر سنة ١٤٥ هـ مسلم بن قتيبة الباهلي ثم أمره في سنة ١٤٦ هـ بقتل أنصار إبراهيم من البصريين وتخريب دورهم ومصادرة أموالهم فخشى مسلم عاقبة ذلك الفتن لما في هؤلاء من كبار الرجال من أهل النجدة والشرف فتوقف في أمرهم فعزله المنصور وولى عليها محمد بن سليمان بن علي العباسي .

ولما قدم البصرة محمد بن سليمان قبض على خمس وخمسين رجلاً من وجهاء البصرة وأشرفها فصلبهم ثم قبض على خمسمائة رجل من البصريين وأرسلهم إلى الخليفة أبي جعفر المنصور مكبلين في الحديد وصادر أموال الجميع وهلم دورهم وخرب بساتينهم (ويروى أنه هدم ثلاثة آلاف دار، وأتلف نحو عشرين ألف من النخيل) وكان عمله هذا من النكبات العظيمة التي نزلت بالبصريين . وذلك في سنة ١٤٦ هـ .

الأضطرابات في البصرة

وتولى إمارة البصرة بعد مسلم بن قتيبة محمد بن عبد الله السفاح في سنة ١٤٧ هـ ولكنه استقال بعد ثلاثة أشهر فوجهت إمارة البصرة في السنة نفسها إلى نجبة بن سالم ثم عزل في سنة ١٥٠ هـ وتولى مكانه عقبة بن مسلم .

ولم تكن البصرة خالية من الاضطرابات منذ فتنة إبراهيم بن عبد الله ومع ذلك فإنها كانت زاهرة زاهية بالعلماء الأعلام وازدهت برجال العلم والأدب ووصلت فيها العلوم العربية واللغة والآداب إلى أوجها.

وبقى عقبه بن مسلم أميراً على البصرة إلى سنة ١٥٢ هـ فحدث ثورة بالبحرين فأودع الخليفة إليه إخمادها فصار من البصرة ووجهت إمارتها إلى جابر بن توبة ثم عزل بعد قليل وتولى مكانه يزيد بن منصور. وفي أيام هذا الأمير في سنة ١٥٣ هـ قدم الخليفة جعفر المنصور من مكة إلى البصرة بعد الحج ونزل في الجسر الكبير بالبصرة وأقام بضعة أيام يتفقد أحوالها، ثم سار إلى بغداد وبعد مسيره بقليل ولي البصرة عبد الملك بن ظبيان النمري في سنة ١٥٤ هـ ^(١) وكان هذا ضعيف التدبير فاستخف به أهل البصرة وكثرت فيها اللصوص وفقد الأمن فعزله الخليفة في سنة ١٥٥ هـ وأمر على البصرة المهيم بن معاوية العتكي وكان من الولاة القديرين فأعاد الأمن إلى نصابه وسار سيرة حسنة في الأهلين. وفي أيامه زار البصرة الخليفة أبو جعفر المنصور في سنة ١٥٥ هـ وأقام بها أربعين يوماً وبني فيها قصراً فخماً ثم عاد إلى بغداد وكتب إلى المهيم يأمره ببناء سور على البصرة فبناه في السنة نفسها ١٥٥ هـ وعلى أثر ذلك ظفر المهيم في سنة ١٥٦ هـ بعمرو بن شداد الذي كان عاملاً لإبراهيم بن عبد الله على فارس فقتله بالبصرة ثم صلب جثته. وفي أيام هذا الأمير تولى بالبصرة قاضيا سوار بن عبد الله في سنة ١٥٧ هـ ولما مات الخليفة أبو جعفر المنصور في سنة ١٥٨ هـ وتولى الأمير ابنه محمد المهدي أقر على البصرة المهيم بن معاوية ثم عزله في سنة ١٦٠ هـ وأرسل بدله محمد بن سليمان العباسي وضم إليه كور دجلة والبحرين.

(١) ويروى أنه ولي عقبه بن مسلم في سنة ١٥٤ هـ ثم عبد الملك.

فزهت البصرة في أيامه وزادت عمارتها وأمتدت أبنتها وكثرت خيراتها
وازدحمت بالناس حتى ضاق مسجدها المشهور بالمصلين لكثرتهم حتى قيل بلغ عدد
المصلين يوم ذاك عشرين ألف رجل وأضطر الأمير أن يستأذن من الخليفة بتوسيع
المسجد فأذن له في سنة ١٦٠ هـ فوسعه وبلغت النفقة على توسيعه مائة ألف
درهم صرفت بأذن من الخليفة من بيت مال البصرة.

وظل محمد بن سليمان أميراً على البصرة إلى سنة ١٦٦ هـ فعزله الخليفة
محمد المهدي وولى عليها روح بن حاتم، ولى أيام هذا الأمير في سنة ١٦٧ هـ
نارت القبائل القاطنة بين البصرة والبحرين وخرجوا على الحكومة ثم هجموا على
نواحي البصرة وغلبوا وخربوا وقتلوا فجهاز الأمير لقتالهم جيشاً فأندحر جيشه
فأضطر إلى طلب النجدة من بغداد فأمدته الخليفة بجيش كبير فتمكن من قمع تلم
الثورة وعادت الأمور إلى مجاريها .

البصرة في عهد الرشيد

توفي الخليفة محمد المهدي في سنة ١٦٩ هـ وبويع لابنه موسى الهادي فعزل
روحاً عن البصرة وولاهها محمد بن سليمان (المرة الثانية) فبقى محمد على البصرة
حتى مات موسى الهادي في سنة ١٧٠ هـ وتولى الخلافة أخوه هارون الرشيد
فأقره على البصرة وظل عليها إلى أن مات بها في سنة ١٧٣ هـ فولى هارون
الرشيد مكانه سليمان بن جعفر ثم عزله بعد ستة أشهر وأرسل بدله عيسى بن
جعفر ثم عزله في سنة ١٧٤ هـ وولى عليها عبد الصمد بن علي العباسي ثم ولى
عليها في سنة ١٧٧ هـ مالك بن علي الخزاعي .

ولم يحدث بالبصرة منذ تولى الخلافة الهادي إلى هذه السنة ١٧٧ هـ ما يكدر جو السياسة أو ما يخل بالإدارة والأمن بل كانت هذه المدينة تزدهر عمارتها يوماً فيوماً وتكثر خيراتها شهراً فشهراً وازدهت بالعلماء الأعلام حتى وصلت إلى أرقى درجات الكمال خصوصاً في أيام هارون الرشيد فأثما صارت من أكبر مدن الإسلام ومركزاً للعلماء العظام ومهداً للعلوم والفنون والآداب وقد زارها هذا الخليفة في سنة ١٨٠ هـ وبقي فيها بضعة أيام يتفقد شؤونها وينشط علمائها على سعيهم المتواصل ثم عاد إلى بغداد فولى عليها في سنة ١٨١ هـ إسحق بن سليمان ثم انتقلت إمارة هذه المدينة في عهده من إسحق بن سليمان إلى سليمان بن أبي جعفر في سنة ١٨٤ هـ ثم إلى عيسى بن جعفر في سنة ١٨٥ هـ ثم إلى الحسن ابن جميل في سنة ١٨٧ هـ ثم إلى عيسى بن جعفر في سنة ١٨٩ هـ ثم على جرير ابن يزيد في سنة ١٩٠ هـ ثم (بعد ستة أشهر) إلى عبد الصمد بن علي العباسي (ثانية) ثم إسحق بن عيسى بن علي في سنة ١٩٣ هـ .

ولم يحدث في أيام هارون الرشيد في البصرة ما يخل بالسياسة أو الإدارة بل كانت زاهية بفحول العلماء الذين أنهت إليهم رئاسة أكثر العلوم العقلية والنقلية وزادت عمارتها وكثرت ثروتها وعظم شأنها وراجت فيها العلوم والآداب والفنون. ولما تولى الخليفة هارون الرشيد في سنة ١٩٣ هـ وتولى ولي عهده ابنه محمد الأمين أقر إسحق بن عيسى على البصرة فخرج في السنة نفسها في أطراف البصرة ردان الحروري وثار على الحكومة بمجموعه فالتخلد وتمزقت جموعه.

وبقيت البصرة بعد هذه الحادثة في زهو وأطمئنان إلى سنة ١٩٥ هـ فأرسل الخليفة محمد الأمين أميراً عليها المنصور بن المهدي العباسي. وفي أيامه حدثت فتنة الأمين والمأمون واستولت جيوش المأمون على الأهواز والكوفة وواسط فأضطربت البصرة وعزم أهلها على تحصينها وقتال جيش المأمون إذا

أقرب منها انتصاراً للأمين فأبى أميرهم المنصور ذلك حقناً للدماء فأعلن خلع الأمين وبيعة المأمون وخطب له على منبر البصرة ، فبلغ ذلك المأمون فأقره على إمارته . ولكنه وجه في سنة ١٩٦ هـ إمارة العراق إلى الحسن بن سهل وضم إليه فارس والبحرين فولى ابن سهل على البصرة العباس بن محمد الجعفرى وكانت بغداد يومئذ قد حاصرها طاهر بن الحسين قائد المأمون ولم يبق للأمين غيرها .

البصرة في عهد المأمون

ولما تم أمر الخلافة للمأمون بعد مقتل الأمين في سنة ١٩٨ هـ بقيت البصرة من أعمال الحسن بن سهل وظل عليها العباس بن محمد الجعفرى إلى سنة ٢٠٠ هـ وكان قد خرج في هذه السنة أبو السرايا الطاهى وجمع جموعاً كثيرة واستولى على الأهواز وواسط والكوفة ثم سار بجموعه إلى البصرة وألقى عليها الحصار فدافع عنها أميرها العباس بن معه من الجنود الأهلية وبعد حروب شديدة انتصر أبو السرايا في السنة نفسها ودخل البصرة وبقيت هذه المدينة في قبضة الطالبيين إلى سنة ٢٠٤ هـ فأرسل الخليفة المأمون جيشاً كبيراً يقوده أخوه صالح ابن هارون الرشيد لاسترداد البصرة فجرت بين الفريقين معارك عنيفة دامت نحو شهر فالتجملت عن انتصار جيوش المأمون ودخول صالح البصرة ظاهراً في السنة نفسها .

ومكث صالح على إمارة البصرة إلى سنة ٢٠٦ هـ فولى المأمون عليها داود بن مسعود وضم إليه البحرين واليمامة . وفي أيام هذا الأمير ظهر الزطى في

طريق البصرة ونهبوا بعض القرى ^(١) فقاتلهم داود حتى أعاد الأمن إلى نصابه وبقي على إمارته إلى سنة ٢١٥ هـ .

وفي أيامه في سنة ٢١٠ هـ أمر الخليفة المأمون بإحصاء من في البصرة من العلماء والتلاميذ فبلغ عدد العلماء سبعمائة وعدد تلامذتهم أحد عشر ألفاً فلما وقف المأمون على هذا الإحصاء سرّ مروراً عظيماً وأحب أن ينشط المحتاجين منهم فأمر بتخصيص رواتب لهم وأمر بإرسال نسخ من مؤلفات أولئك العلماء فجمعوا له ما ألفوه من الكتب العلمية المختلفة في مدة عشرين سنة فكانت على ما ذكره بعض المؤرخين أكثر من مائتي ألف مؤلف بين صغير وكبير أرسلت إلى المأمون في ثلاثة سفن فلما وصلت بغداد ضمها المأمون إلى مكتبته .

وتولى البصرة بعد داود محمد بن عباد المهلبى في سنة ٢١٦ هـ فمات في السنة نفسها فولى المأمون بدله عجيف بن عتبة . ولما تولى المأمون في سنة ٢١٨ هـ وتولى الخلافة أخوه المعتصم بالله أقر عجيفاً على إمارته . فظهر الزط مرة أخرى في أيامه في سنة ٢١٩ هـ وغلبوا على طريق البصرة ونهبوا بعض القرى المجاورة للبصرة وأحرقوا بعضها وأخذوا الغلات من البيادر بكسركر وما يليها من البصرة فأمر الخليفة عجيفاً بقتالهم فخرج إليهم بجيشه فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الخمسمائة حتى اضطرب الباقون إلى طلب الأمان والنفو فأمّنهم عجيف على شرط أن لا يعودوا إلى الفساد وذلك في سنة ٢٢٠ هـ .

ودامت إمارة عجيف على البصرة إلى أن تولى المعتصم في سنة ٢٢٧ هـ وتولى الخلافة ابنه الواثق بالله فأقر عجيفاً على عمله ثم مات الواثق في سنة ٢٣٢ هـ وتولى الخلافة أخوه المتوكل على الله فعزل عجيفاً وولى على البصرة

(١) الزط قوم من أخطاط الناس اجتمعوا على النهب والسلب والفساد .

عمير بن عمار في السنة نفسها . ولم يحدث في البصرة بعد حادثة الزط ما يحل بالأمن .

الفتن في البصرة

بقى عمير بن عمار على إمارة البصرة إلى سنة ٢٣٩ هـ فتولى إمارتها محمد بن رجا . وفي أيامه: فسدت أحوال البصرة واختلفت كلمة أهلها وقامت بينهم الفتن وانقسموا إلى فرقتين (البلالية والسعدية) وآلت تلك الفتن إلى القتال داخل المدينة ثم ثاروا على أميرهم محمد بن رجا وطرده وأخرجوا المسجونين وغلبوا بيت المال وبيوت بعض الثرئين وظلت البصرة فوضى ودامت الفتن والمعارك بين أهلها إلى أن قتل الخليفة المتوكل في سامرا في سنة ٢٤٧ هـ وتولى بعده ابنه المنتصر بالله ثم مات في سنة ٢٤٨ هـ وتولى الخلافة المستعين بالله ثم خلع في سنة ٢٥٢ هـ وبويع المعتز ومضت على خلافته سنة واحدة والفوضى ضاربه اطنابها بالبصرة وقد تولى إمارتها في هذه المدة جماعة من الولاة فلم يتمكنوا من إصلاح الحال ولا أستقام أحد منهم شهوراً بل كان بعضهم يستقيل وبعضهم يعزل ومنهم من يطرده ومنهم من يقتل ثم سكنت تلك الفتن في سنة ٢٥٣ هـ .



استيلاء الزنوج على البصرة

لم يكذب البصريون يستريحون من تلك الفتن التي تحطهم وجلبت عليهم ضروب النوائب حتى ظهر في سنة ٢٥٤ هـ رجل ادعى الغيب وزعم أنه على ابن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن الإمام علي وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ فألفت حوله منهم نحو الألفين فقوى بهم وعانت في بادية البصرة فساداً ثم قصد البصرة فساداً ثم قصد البصرة فأضطر البصريون إلى قتاله فحدثت بين الفريقين عدة معارك حتى تمكن البصريون من صده بعد أن قتل منهم أكثر من ألف رجل .

ولما انسحب صاحب الزنج عن البصرة هب أكثر القرى وأحرق بعضها وكان قد تولى الخلافة المهتدي في سنة ٢٥٥ هـ وبلغته أعمال صاحب الزنج فأرسل في السنة نفسها أميراً على البصرة الأحوص الباهلي وسير معه جيشاً كبيراً بقيادة جعلان التركي لقتال الزنوج فحدثت بين الطرفين حروب عديدة فاز في آخرها صاحب الزنج وأضطر القائد جعلان إلى تحصين البصرة والدفاع عنها وألف البصريون جيشاً منهم فكان لفرقتين (السعيدية والهلالية) وعلى أثر ذلك هجم الزنوج على البصرة في سنة ٢٥٦ هـ في الوقت الذي تولى فيه الخلافة المعتمد على الله فجرت بين الزنوج وبين البصريين حروب عنيفة دامت أحد عشر يوماً انتهت بالدحار الزنوج^(١) فعادوا عن البصرة ولكنهم هبوا قراها وأحرقوا بعضها

(١) ويرى أن البصريين اندحروا فتحصنوا بالمدينة .

وقاتلوا سكان أبي الخصيب أربعة أيام حتى استولوا على قريتهم وأحرقوا دورها ونهبوا ما فيها وأعملوا السيف في أهلها، وقد قتل في هذه الحادثة أكثر من خمسة آلاف رجل من البصريين ثم حمل الزنوج على الأبله فقاتلهم أهلها فأنخذلوا واستولى الزنوج على المدينة ثم انسحبوا منها .

فلما كانت سنة ٢٥٧ هـ أرسل الخليفة المعتمد على الله جيشاً كبيراً بقيادة سعيد بن صالح الحاجب لقتال الزنوج فالتقى بهم سعيد فأنصر عليهم وقتل بهم ولكنهم لموا شعثهم وهجموا عليه هجمة المستميت فأنهزمت عساكره بعد أن قتل منهم عدد كبير واضطر القائد سعيد إلى الهرب فقتل فاستولى الزنوج على معسكره. فبلغ ذلك الخليفة فولى في أواخر هذه السنة على البصرة منصور بن جعفر الخياط وأرسله بجيش كبير لحدثت بينه وبين الزنوج معركة هائلة في محل يسبعد عن البصرة ثلاث ساعات فأنجلت عن انتصار الزنوج فأغرقوا سفن الخليفة وأتلفوا من فيها من الجنود والأموال. ووقع القائد منصور قتيلاً.

وعلى أثر الدحار جيش القائد منصور وقتله استولى الزنوج على الأهواز والأبله وعبادان وواسط وقوى أمرهم واشتدت شوكتهم فأعادوا الكرة على البصرة فاجتمع البصريون وألفوا منهم جيشاً بلغ عدد عشرون ألف مقاتل وخرجوا للدفاع فدامت الحرب بينهم وبين الزنوج ثمانية أيام بلياليها وكانت حرب دموية هائلة أسفرت عن انكسار البصريين فاستولى الزنوج على البصرة بعد أن قتل من البصريين عدد كبير وذلك في أواخر سنة ٢٥٧ هـ .

ولما دخل الزنوج البصرة انهزم منها عدد كثير من البصريين واختفى الناس في دورهم فنهب الزنوج المدينة وأحرقوا أكثر دورها ودام النهب والسلب والقتل

والتخريب والتدمير ثلاثة أيام ثم أعلن قائداهم الأمان ونادى مناديه باجتماع الناس في المسجد لاستماع الأوامر فأجمعوا (وكانوا على ما قيل نحو مائة ألف نسمة) فأمر بقتلهم وبأحراق المسجد وهدمه فأعمل أصحابه السيف في البصريين فلم ينج منهم إلا من فر .

وبلغ الخليفة المعتمد خبر سقوط البصرة بيد الزوج واستفحال أمرهم فجهز جيشاً كبيراً وسيره بقيادة أحمد المولد (ويروى محمد) فالدحر أحمد واضطر الخليفة إلى تجهيز جيش آخر في سنة ٢٥٨ هـ وأرسله بقيادة مفلح فأصاب مفلح سهم فقتله فأنهزم جيشه فأرسل الخليفة أخاه أبا أحمد طلحة الملقب بالموفق بالله وسيره بجيش كثيف وكتب إلى بغداد وغيرها من المدن العراقية يأمر الولاة بجمع الجيوش وإرسالها مدداً للموفق .

فسار الموفق حتى وصل نهر معقل (بالقرب من البصرة) والتقى بالزوج وهناك فجرت بينه وبينهم حروب عنيفة اندحر في آخرها الزوج ووقع كثير منهم في الأسر وفيهم قائدهم يحيى بن محمد البحراني فإنه وقع أسيراً في قبضة الموفق فأرسله إلى بغداد ومنها أرسل إلى سامراء فأمر الخليفة بقتله .

وكانت البصرة حينذاك قد فشى فيها الطاعون وسرى منها إلى واسط وغيرها فعاد الموفق إلى سامرا بعد هذه الانتصار وتفرقت أكثر جنوده . فأرسل الخليفة في سنة ٢٥٩ هـ إسحاق بن كنداج لقاتل الزوج فدحرهم عدة مرات ولكنه لم يتمكن من الانتصار عليهم انتصاراً نهائياً فأرسل الخليفة قائده موسى بن بغا التركي بجيش كبير فانتصر موسى على الزوج وقتل منهم عدداً كبيراً فبلغ

انتصاره البصريين فثاروا على من عندهم من الزوج فطرودهم وتلاههم أهل أبي الخصب فثاروا على الزوج ومنعوا إرسال الذخائر إليهم فضاقت الحال بالزوج .

ولما كانت سنة ٢٦٠ هـ استقال القائد موسى بن بغا من ولاية البصرة وقيادة الجيش فأرسل الخليفة بدله مسرور البلخي وأودع إليه قتال الزوج فالتقى بهم وحدثت بينه وبينهم معركة فعاد إلى بغداد بسبب حدوث فتنة فيها .

دخلت سنة ٢٦١ هـ فجهز الخليفة جيشاً جديداً وسيره بقيادة أخيه الموفق (مرة ثانية) على البصرة لقتال الزوج وسير معه أنه أبا العباس فصار الموفق بجيش جرار قبل كان عدده خمسين ألف مقاتل حتى وصل بالقرب من البصرة فعمسك في الجهة الشرقية منها بالقرب من شط العرب وبنى هناك مدينة اتخذها مقراً للحركات الحربية فسميت الموفقية نسبة إليه . ثم جلب إليها التجار والباعة فأبنت فيها سوقاً فبنى الناس المنازل وعمرت حتى صارت مدينة كبيرة وبقيت مركزاً لسوق الجيوش حتى انتهى الموفق من أمر الزوج كما سنذكره .

أما الزوج فأنهم كانوا قد بنوا لهم مدينة كبيرة في غربي نهر أبي الخصب وسموها المختارة وبنوا عليها سوراً وأبراجاً وخندقاً وجعلوا لحمايتها ثلاثة آلاف مقاتل وجمعوا فيها عدداً عظيماً من النساء والأطفال الذين هبوا في غاراتهم على البصرة والأيلة والأهواز وغيرها . واتخذوا هذه المدينة مركزاً للحركات الحربية كما اتخذ الموفق مدينته مقراً لسوق الجيش .



إنهاء أمر الزنوج

ظل الموفق يسير الجيش براً وغراً لقتال الزنوج والخليفة يحده بالعدد والعدد
فانتصر الموفق في أكثر المواقع وكانت الجيوش البرية تحت قيادته والجيوش النهرية
بقيادة أبي العباس وظل النصر حليف الموفق حتى اضطرت القبائل المتفقة مع الزنج
إلى طلب الأمان والعفو وشرعت تلك القبائل تنحاز الواحدة تلو الأخرى إلى
الموفق فضعف أمر الزنوج وقوى أمر الموفق وكثرت جيوشه وتم له النصر في شهر
جمادى الآخرة سنة ٢٧٠ هـ واحتل مدينتهم المختارة وقتل رؤساء تلك الفتنة
واستولى على أموالهم ودورهم وقتل زعيمهم على بن عبد الرحيم وأرسل رأسه إلى
أخيه المعتمد وكان قتله بشرى عظيمة في العراق ثم جمع الموفق الأموال التي لهبها
الزنوج من البلاد وكذلك النساء والأطفال فأرجع الجميع إلى أصحابها فأرتاح
الناس والبلاد من غارات الزنوج بعد أن اتعبوا الدولة خمسة عشر عاماً . وكانوا
مشغلة القواد والخليفة حتى خشي منهم أن يستولوا على العراق كله في الوقت
الذي كانت فيه الخلافة قد ازدادت ضعفاً على ضعف واستبد القواد والولادة في
الأطراف . وقد قتل في هذه الحروب عدة من القواد منهم سعيد بن صالح الحاجب
ومفلح ومنصور بن جعفر الخياط وغيره وقتلهم جماعة من القواد فلم يظفروا بهم
منهم أحمد المولد وأحمد بن ليفويه وموسى بن بغا ومسروور البلخي وإسحق بن
كننداج وغيره ولم ينتصر أحد من القواد عليهم انتصاراً نهائياً غير الموفق لبراعته في
الأساليب الحربية وحسن سيرته وحزمه .

وكان أول ظهور صاحب الزنج هذا في إحدى قرى البصرة التي هو من
أهلها فادعى أنه من نسل الإمام على كما تقدم وهو في الحقيقة اسمه على بن

الرحيم من ولد القيس. وزعم أنه يطلع على ما في ضمائر أصحابه وما يفعل كل واحد منهم . ثم دعى الزنوج الذين يعملون في السياخ في نواحي البصرة والكوفة واستهضهم فترك أكثرهم مواليتهم وقاموا معه فاطمعهم في أسيادهم ووعدهم أنه يملكهم ما في أيديهم فأجتمع له خلق كثير منهم فعبر دجلة ونزل قرية تسمى الدينارية وزعم أن سحابة أظلمت ونودى منها (أقصد البصرة تملكها) فقاتل الخليفة العباسية باسم الدولة العلوية أعواماً وفعل ما فعل من قتل ونهب كما ذكرناه قبلاً . ولقد بالغ بعض المؤرخين فقال أنه قتل من البصريين مائة وخمسين ألفاً عدداً الأسرى من الرجال والنساء والأطفال الذين بلغ عددهم مائتي ألف امرأة وعشرين ألف رجل وعشرة آلاف طفل ، وأنه قتل في جميع حروبه نحو المليونين وخمسمائة ألف نفس ، ونهب من الأموال ما قيمتها عشرين مليون دينار .

المخطاط البصرة

وهجمات القرامطة عليها

لما انتهت فتنة الزنوج التي أتعبت الدولة العباسية أعواماً طويلاً ولى الخليفة المعتمد إمارة البصرة في سنة ٢٧١ هـ العباس بن تركس وأمره بتعمير ما خربت تلك الفتنة فصدع بالأمر وعاد البصريون الذين أهرموا إلى مدينتهم ولكن بعد الخراب كما قيل بالمثل (بعد خراب البصرة) لأن هذه المدينة كانت قد خربت لتوالي الفتن والحروب وأعدت منذ حادثة الزنوج بالتفقر والانحطاط وقل سكانها وذهب أكثر عمرائها وزالت ثروتها وخيراتها .

ولما توفي الخليفة المعتمد ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ وتولى الخلافة المعتضد بالله ولي على البصرة أحمد بن محمد بن يحيى فظهر في أيامه في سنة ٢٨٥ هـ في البحرين رجلاً يدعى أبو سعيد الجنابي وكان قد تأمر على القرامطة وجمع حوله جماعات من رعاي الناس وقتك بأهل البحرين والقطيف ثم قصد البصرة في سنة ٢٨٦ هـ فكتب إلى الخليفة المعتضد بالله أميرها أحمد يخبره بما عزم عليه زعيم القرامطة من الهجوم على البصرة فأمره ببناء سور البصرة فبناه وأنفق عليه أربعة عشر ألف دينار .

وعلى أثر ذلك هجم أبو سعيد القرمطي بمجموعه على البصرة في سنة ٢٨٧ هـ فجمع أميرها أحمد^(١) أهلها وضمهم إلى عساكره التي أرسلها إليه الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل فدافع عن المدينة حتى طرد القرامطة فعادوا بالفشل ولكنهم انتصروا على جيوش الخليفة بالبحرين. ثم انتشرت القرامطة في سنة ٢٨٩ هـ (في السنة التي مات بها ببغداد الخليفة المعتضد وتولى مكانه ابنه المنكفي) في أطراف الكوفة فوجه الخليفة إليهم جيشاً فانتصر جيش الخليفة وقتل منهم عدد كبير وأسر زعيمهم أبا سعيد وجماعة من أصحابه وجرى بهم إلى بغداد فعذبهم الخليفة فمات أبو سعيد المهجرى تحت العذاب وقتل قائده أبو الفوارس مع أصحابه المأسورين . وعلى أثر ذلك أمر القرامطة عليهم أبا طاهر سليمان بن أبي سعيد وحملوا على البصرة وحاصروها في السنة نفسها ٢٨٩ هـ ودامت الحروب بينهم وبين البصريين ثمانية عشر يوماً فانتصر البصريون وعاد القرامطة بالفشل والخسران .

(١) ويروى كان أميرها إذ ذاك محمد الواثق .

وتوفي الخليفة المكتفى بالله في سنة ٢٩٥ هـ وتولى الخلافة بعده المقتدر بالله فولى على البصرة في سنة ٢٩٩ هـ محمد بن إسحق بن كنداج وفي أوائل أيامه زحف القرامطة على البصرة بقيادة زعيمهم إلى طاهر سليمان فوصلوا البصرة على حين غفلة من أهلها في يوم الجمعة والناس في الصلاة فدخلوا المدينة وقتلوا من صادفهم من أهله فأسرع الأمير محمد وجمع الجنود لقاتلهم حتى طردهم .

الفتن في البصرة وهجوم القرامطة أيضاً

لم تكن البصرة تستريح من هجمات الخوارج حتى قامت فتنة أهلية فيها في سنة ٣٠٥ هـ وكانت أولاً بين قائد الجيوش الحسن بن خليل وبين أمير البصرة فألحاز الأهليون إلى الأمير فحقد القائد فهجم عليهم وهم في المسجد يصلون فقتل عدداً كبيراً منهم وبين أمير البصرة فألحاز الأهليون إلى الأمير فحقد القائد فهجم عليهم وهم في المسجد يصلون فقتل عدداً كبيراً منهم فثاروا عليه وقتلوه فحدثت فتنة كبيرة داخل المدينة. فلما وصل الخبر إلى الخليفة ببغداد أكتفى بعزل القائد فعزله وأرسل بدله أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعي .

وبعد تلك الفتنة أعطى الخليفة المقتدر بالله ولاية البصرة بالضمان إلى الوزير حامد بن العباس في سنة ٣٠٧ هـ فطمع هذا الأمير في أموال الناس حتى ضاق الحال بالبصريين وغلغلت الأسعار وتدمر الأهليون من أميرهم فأصدر الخليفة أمراً ينسخ ذلك الضمان.

ثم وجهت ولاية البصرة في ٣٩٠ هـ إلى سبك المفلحى، وفي أيامه: زحف على البصرة جمع كبير من القرامطة (وقيل كانوا ألفاً وسبعمائة مقاتل) يقودهم زعيمهم أبو طاهر سليمان فوصلوا البصرة ليلاً وكانوا قد صنعوا سلاماً من الشعر ليتسلقوا بها سور البصرة فوضعوها على السور وصعدوا إليه وفتحوا باب المدينة وقتلوا حراسها فلم يشعر أمير البصرة سبك المفلحى بهم إلا في السحر فأسرع فركب إليهم بجيشه فقتلوه وفرقوا جيشه ثم وضعوا السيف في البصريين ودامت المعارك بين الطرفين أحد عشر يوماً داخل المدينة فعل القرامطة في خلالها أنواع المنكرات من غلب وسلب وقتل وتخريب ثم انسحبوا .

وعلى أثر هذه الحادثة وإلى الخليفة المقتدر على البصرة محمد بن عبد الله الفاروقى في سنة ٣٩١ هـ فدخلها بعد انسحاب القرامطة منها بأيام.

وكان قد قتل في هذه الحادثة من البصريين ألف وخسمائة رجل ووقع في الأسر منهم بيد القرامطة من النساء والأطفال عدد كثير قبل كان ألف امرأة وستمائة طفل.

وفي أيام إمارة محمد بن عبد الله الفاروقى في سنة ٣٩٣ هـ قطع القرامطة طريق البصرة فكتب محمد إلى الخليفة يخبره بذلك فأصدر الخليفة أمراً إلى ولاية المدن يأمرهم بالتأهب لقتال القرامطة. فبلغ ذلك القرامطة فانسحبوا .



ولاية ابن رائق على البصرة

دخلت سنة ٣١٦ هـ فأعطى الخليفة المقتدر بالله ولاية البصرة بالضممان إلى محمد بن رائق فسار إلى عمله وقاتل القرامطة القريين منه حتى أبعدهم ومكث على ولايته حتى مات الخليفة المقتدر في سنة ٣٢٠ هـ وتولى بعده القاهر بالله ثم تولى الخلافة الراضى بالله في سنة ٣٢٢ هـ في الوقت الذى كان فيه أمر الخلافة قد ازداد ضعفاً وتسلط الأتراك ببغداد على شؤون الدولة وقلت الأموال وتغلب السولاة على أطراف المملكة وأستقل بنو حمدان بالموصل وديار بكر وربيعة ومضر فاستبد ابن رائق بالبصرة وواسط وأعمالها وأمتنع عن إرسال الخراج السنوى إلى دار الخلافة واستخلف على البصرة محمد بن يزداد وأقام هو بواسط ليكون قريباً من بغداد.

استيلاء البريدى على البصرة

عندما ضاق الحال بالخليفة الراضى لقلّة الأموال قلّد ابن رائق إمارة الأمراء ببغداد في سنة ٣٢٤ هـ فاستبد ابن رائق حتى لم يبق للخليفة غير الاسم والخطبة وعلى أثر ذلك أرسل حاكم الأهواز أبو عبد الله محمد بن البريدى غلامه أقبالا في ألفى مقاتل لأخذ البصرة من ابن يزداد فساعدته البصريون ليتخلصوا من ظلم ابن يزداد الذى أساء السيرة معهم وأخذ أموال مشريهم بالباطل وأكثر من الضرائب حتى اضطروا إلى الإلتجاء بابن البريدى واستجذروا به وبعد مناوشات

انتصر أقبال ودخل البصرة ظافراً في سنة ٣٢٥ هـ وبعد قليل سار إليها ابن البريدى وكتب إلى الخليفة يطلب منه توجيه البصرة إليه فأصدر الخليفة منشورة بذلك فدخلت البصرة في ضمان ابن البريدى فتخفف عن أهلها الضرائب والمكوس ولكنه لما استتب أمره ورسخت قدماء اضطهد الأهلين وظلمهم حتى اضطروا إلى رفع الشكوى إلى الخليفة وأخبره بما يقاسمونه من ظلم ابن البريدى. ولما كان الخليفة يومئذ ضعيفاً لا يقدر على شيء أصدر أمره بتوجيه ولاية البصرة إلى القائد يحكم التركي ليأخذها بالسيف فسار بجكم بعشرة آلاف من الأتراك في سنة ٣٢٦ هـ وبعد عدة وقائع استولى بجكم على البصرة وطرد منها ابن البريدى .

ولم تمض أشهر قليلة حتى حدث خلاف بين بجكم وبين أمير الأمراء ببغداد ابن رائق فسار بجكم بجيشه إلى بغداد في سنة ٣٢٦ هـ فتغلب على ابن رائق فقلده الخليفة إمارة الأمراء. وعلى أثر ذلك وجهت إمارة البصرة إلى ابن البريدى (ثانية) في سنة ٣٢٧ هـ (ويرى في سنة ٣٢٨ م) وضمن رسومها وضرائبها وأعشارها .

ولما مات الراضى بالله طمع ابن البريدى ببغداد فسير في سنة ٣٢٩ هـ جيشاً من البصرة لقتال بجكم فجهز له بجكم جيشاً سيده بقيادة توزون التركي فالتقى الجيشان فاندحر جيش بجكم أولاً ثم انتصر وفي أثناء ذلك مات بجكم قتيلاً بطعنة غلام كردى طعنه حينما حمل على الأكراد طمعاً في أموالهم .

وفي أيام إمارة ابن البريدى على البصرة حمل يوسف بن وجيه حاكم عمان على البصرة في سنة ٣٣٢ هـ في سفن كثيرة مشحونة بالرجال فاستولى على الأبله ثم تقدم نحو البصرة فخرج ابن البريدى لقتاله ولكنه لما علم بكثرة جيوش حاكم عمان عمد إلى الحيلة فتظاهر بالتقهقر خدعة فلما جن الليل هجم بجيشه فأحرق سفن يوسف وصافح جيشه بالسيف فقتل أكثرهم وغب أموالهم وذخائرهم

فأنهزم يوسف بالفشل والخسران. وفي السنة نفسها ٣٣٢ هـ زحف معز الدولة ابن بويه بعساكره إلى البصرة فحدثت بينه وبين ابن البريدى عدة وقائع اندحر في آخرها ابن البريدى وتحسن بالمدينة فحاصره معز الدولة أكثر من شهر ثم ترك الحصار وعاد إلى مقره .

وبقى ابن البريدى مستقلاً بإمارة البصرة إلى أن تولى فيها في سنة ٣٣٤ هـ فتولى مكانه ابنه أبو القاسم بن أبي عبد الله محمد بن البريدى فأرسل إليه الخليفة منشور الإمارة على جرى العادة في ذلك العهد .

استيلاء معز الدولة

البويهى على البصرة

أو البصرة في عهد بنى بويه

لما استولى معز الدولة أحمد بن أبي شجاع بويه على بغداد وأسس الدولة البويهية في سنة ٣٣٤ هـ أستأمن إليه أبو القاسم ابن البريدى وضمن له واسط والبصرة وأعمالهما وعقد له في السنة نفسها ثم حدث بينهما خلاف في سنة ٣٣٥ هـ فامتنع أبو القاسم عن تسليم المال المقرر إرساله إلى بغداد فجهز معز الدولة جيشاً لطرده من البصرة فالتقى جيشه بجيش ابن البريدى وقتل في هذه الحرب من وجهاء البصرة وأعيانها الذين كانوا أنصاراً لابن البريدى سبعون رجلاً .

فلما بلغ ابن البريدى خبر هزيمة جيشه جهز جيشاً جديداً فعلم بذلك معز الدولة فجهز جيشاً كبيراً قاده بنفسه وأخذ معه الخليفة المطيع لله وتوجه نحو

البصرة في سنة ٣٣٦ هـ فلما اقترب معز الدولة إلى محل يسمى الدرهمية وسمع جيش ابن البريدى يقدمون الخليفة معه استعظموا ذلك فاستأمنوا إلى معز الدولة وانحازوا إليه فخاف ابن البريدى فأنزله إلى هجر ملتجئاً بالقرامطة فدخل معز الدولة والخليفة البصرة باحتفال عظيم . وبعد أن نظم معز الدولة شؤون البصرة ولى عليها وزيره أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى وذلك في سنة ٣٣٧ هـ وعاد إلى بغداد ومعه الخليفة المطيع .

ولى أيام إمارة الوزير ابن المهلبى على البصرة ثار أمير البطيحة عمران بن شاهين على معز الدولة فقطع طريق البصرة في سنة ٣٣٨ هـ فقاتله ابن المهلبى ولكنه لم يظفر به . وحمل في سنة ٣٤١ هـ على البصرة (ثانية) حاكم عمان يوسف بن وجيه وكان القرامطة قد ثاروا يومئذ على معز الدولة فكتب إليهم يوسف يطمعهم في البصرة وطلب منهم أن يتجدوه بجيش يرى فأمدوه لحاصر البصرة ثمراً وبراً ودام الحصار نحو شهر فقاتله ابن المهلبى حتى جاثته النجدات من معز الدولة من بغداد فانتصر على يوسف انتصاراً ثانياً وأغرق سفنه ونهب أمواله وذخائره فأنزله يوسف بالخلدان والحمران .

إمارة حبشى على البصرة وعصيانه

دخلت سنة ٣٤٧ هـ فوجهت إمارة البصرة إلى حبشى بن معز الدولة فاستقام أمره فيها حتى مات أبوه معز الدولة ببغداد في سنة ٣٥٦ هـ وتولى بعده ابنه بختيار الملقب عز الدولة فحدثت بين الأخوين وحشة في سنة ٣٥٧ هـ فعصى حبشى بالبصرة وخرج على أخيه فأرسل عز الدولة في السنة نفسها جيشاً بقيادة أبي الفضل العباس بن الحسين لقتال حبشى وطرده من البصرة وبعد حروب دامت

أياماً النصر أبو الفضل فدخل البصرة منصوراً وأسر حبشى وأرسله مخفوراً إلى بغداد فحبس بها وصار أمواله .
ومكث أبو الفضل أميراً على البصرة أشهراً ثم ولى عليها عز الدولة ابنه المرزبان .

إمارة المرزبان وعصيانه

تولى المرزبان إمارة البصرة بعد أبي الفضل فحدثت في أيامه فتنة بين الديلم والأتراك في الأهواز أدت إلى حروب دموية بين الطرفين فبلغ ذلك من في البصرة من الديلم فثاروا على الأتراك الذين فيها وتنادوا بإباحة دماءهم فقتل من الأتراك عدد كثير وذلك في سنة ٣٦٣ هـ .

وعلى أثر ذلك سار عز الدولة من الأهواز إلى البصرة وكان قد ذهب إلى الأهواز لأمر إدارية فثار عليه ببغداد القائد سبكتكين التركي على أثر نكبة الأتراك في الأهواز والبصرة وتقلب سبكتكين على حكومة بغداد وطلب من الخليفة الطابع أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة إلى ابنه عبد الكريم لأنه كان قد أصيب بالفالج وتقل لسانه فخلع نفسه وبايع لأبنه ولقبه الطابع لله في سنة ٣٦٣ هـ .
وبعد أن قام عز الدولة بالبصرة أياماً سار إلى واسط ثم توجه إلى بغداد فحدثت بينه وبين سبكتكين فتنة أخرى فانسحب إلى واسط واستنجد بابن عمه عضد الدولة صاحب بلاد فارس وحدث ما حدث في بغداد حتى أغضب عضد الدولة ببغداد وحبس عز الدولة .

فبلغ أمير البصرة المرزبان ابن عز الدولة خبر اعتقال أبيه وما جرى له مع
عضد الدولة فثار في البصرة في سنة ٣٦٤ هـ وهو يومئذ أميرها من قبل أبيه
فكاتب أمراء البلاد وأستجد بهم على نصر أبيه وكتب إلى ركن الدولة يشكو إليه
أعمال ابنه عضد الدولة ويخبره بما فعل بأبيه وبعد حوادث يطول شرحها أخرج
عضد الدولة عز الدولة من السجن وأرجعه إلى منصبه وعاد إلى مقره في السنة
نفسها .

عضد الدولة

وشرف الدولة والبصرة

ولما مات ركن الدولة وتولى ملكه ابنه عضد الدولة في سنة ٣٦٦ هـ
حدثت بينه وبين عز الدولة صاحب العراق وحشة فخلّاف فحرب فاستولى عضد
الدولة على البصرة أولاً في سنة ٣٦٦ هـ فأقام بها أياماً ثم ولى عليها ابنه أبا طاهر
وسار منها فاستولى على واسط ثم انتهت تلك الفتنة بإستيلاء عضد الدولة على
العراق كله فدخل بغداد في سنة ٣٦٧ هـ في عهد الخليفة الطائع لله . وبقي عضد
الدولة ملكاً على العراق إلى سنة ٣٧٣ هـ فتوفي ببغداد وتولى بعده ابنه صمصام
الدولة أبو كالبجار . وفي السنة نفسها طمع في العراق أخوه شرف الدولة
أبو الفوارس ابن عضد الدولة فحمل على أخيه صمصام الدولة بخمسة عشر ألف
مقاتل من الديلم وسار من الأهواز قاصداً البصرة وعليها يومئذ أميراً أبو طاهر ابن
عضد الدولة فاستولى عليها شرف الدولة عنوة وأقطعها إلى أخيه أبي الحسن بن

عضد الدولة وذلك في سنة ٣٧٣ هـ . فبلغ صمصام الدولة خير إستيلاء شرف الدولة على البصرة فجهز لقتاله جيشاً وسيره بقيادة الأمير دبعض فعلم بذلك شرف الدولة فسير جيشاً لقتاله بقيادة الأمير ديبس الأسدي فالتقى الجيشان فدارت الدائرة على جيش صمصام الدولة وأسر قائده . ثم أٌصلح الأخوان على أن تكون البصرة لشرف الدولة وعلى أثر ذلك ولى شرف الدولة على البصرة أخاه أبها طاهر ابن عضد الدولة فاستبد بها ثم عصى وأستقل في سنة ٣٧٥ هـ فجهز له شرف الدولة جيشاً وسار به فأنصر عليه وأسرهم ودخل البصرة ظافراً .

وكانت الفتن مستمرة بين بني بويه فعادت الحرب في سنة ٣٧٦ هـ بين صمصام الدولة وبين شرف الدولة فاستولى الثاني على واسط أولاً ثم على بغداد في سنة ٣٧٧ هـ ودخلت جميع البلاد العراقية تحت حكمه حتى مات في سنة ٣٧٩ هـ وكان من الملوك المصلحين كعضد الدولة فتولى بعده أخوه أبو نصر بهاء الدولة وهو الذي خلع الخليفة الطابع طمعاً في أمواله التي صادرها وولى الخلافة أبا العباس أحمد ابن الأمير إسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله في سنة ٣٨١ هـ .

البصرة في أيام بهاء الدولة

تولى بهاء الدولة الملك في العراق في سنة ٣٧٩ هـ فأقام ببغداد وولى على البصرة نواباً .

وفي أيامه في سنة ٣٨٦ هـ زحف على البصرة لشكرستان أحد قواد صمصام الدولة البويهى لقاتله نواب بهاء الدولة فأنصر عليهم بمعاونة جماعة من البصريين منهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوى ودخل البصرة ظافراً في السنة نفسها . ولما استتب أمره فيها طمع في أموال الناس فأبترز أموال الثريين وملك

بجماعة كبيرة من الوجوه والأعيان حتى اضطرت جماعة منهم إلى ترك أوطانهم. ولبت لشكرستان بالبصرة أكثر من شهر فحمل عليه أمير البطيحة مهذب الدولة أبو الحسن على بن نصر بإيعاز من بهاء الدولة وكان تحت سيادته ، فلما أقرب مهذب الدولة من البصرة فر منها لشكرستان خوفاً من أن يقع في الأسر ودخلها. مهذب الدولة ظافراً فولى عليها نائباً من قبله وظلت في قبضته إلى سنة ٣٩١ هـ . دخلت سنة ٣٩١ هـ فجمع القائد لشكرستان جيشاً كبيراً فأعاد الكرة على البصرة فدخلها عنوة وأعاد الظلم والسلب وصادر أملاك أكثر الوجهاء وقتل بعضهم ففر كثيرون من أهلها إلى بلاد أخرى تخلصاً من ظلمه . فبقيت هذه المدينة تحت حكمه القاسى إلى سنة ٣٩٥ هـ .

وفي هذه السنة نفسها ٣٩٥ هـ جهز أمير البطيحة مهذب الدولة جيشاً كثيفاً وصيره بقيادة أحد قواده أبي العباس بن واصل لقتال لشكرستان وطرده من البصرة وبعد معارك دامت أكثر من شهرين ألحزم لشكرستان بمن معه فاستولى أبو العباس على البصرة في السنة نفسها .

وقد قتل في هذه الحادثة نحو الخمسة آلاف من الفريقين ، وغرقت نحو ثلاثمائة سفينة .



استبداد أبي العباس في البصرة

كان أبو العباس بن واصل من قواد مذهب الدولة أمير البطيحة وكان من المخلصين له فلما انتصر على لشكرستان وطرده من البصرة واستتب أمره فيها طمع بالملك فخلع طاعة مذهب الدولة واستبد بالأمور فسير مذهب الدولة جيشاً لطرده ففشل جيشه فجهز له جيشاً ثانياً بقيادة أبي سعيد بن مأكولا ففشل أيضاً . وقوى أمر أبي العباس فخرج من البصرة بجيشه قاصداً البطيحة وبعد حروب استولى على أكثرها فاضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه فترك البطيحة وعاد إلى البصرة .

وكان بهاء الدولة في تلك الأثناء مقيماً في الأهواز فلما بلغته قوة أبي العباس واستبداده بالبصرة خاف عاقبة أمره فأحضر عنده عميد الجيوش (أو عميد العراق) أبا علي بن جعفر المعروف بأستاذ هرمز وكان نائبه ببغداد فجهز له جيشاً كبيراً وسيره لقتال أبي العباس ففشل أبو علي ثم جهز بهاء الدولة جيشاً آخر فاستمرت الحروب بين جيوش بهاء الدولة وبين أبي العباس مدة حتى اضطرب بهاء الدولة إلى المسير بنفسه فسار بخمسة عشر ألف مقاتل فاندحر جيشه وعاد بالفشل وذلك في سنة ٣٩٦ هـ فطمع أبو العباس ببهاء الدولة فحمل عليه بجيشه وهو يومئذ بالأهواز فدحرته جيوش بهاء الدولة وعاد بالفشل وعلى أثر تلك الهزيمة زحف بهاء الدولة بجيش كبير على البصرة فحاصرها أربعة أيام فانتصر على أبي العباس فقتله ودخل البصرة ظافراً في سنة ٣٩٧ هـ وأقام بها أياماً ثم ولى عليها الوزير أبا غالب وعاد إلى الأهواز .



البصرة في عهد سلطان الدولة وجمال الدولة

هدأت الأحوال بالبصرة بعد فتنة أبي العباس حتى مات بماء الدولة الدولة
في سنة ٤٣٠ هـ وتولى ابنه أبو شجاع الملقب سلطان الدولة فولى على البصرة
أخاه أبا طاهر الملقب بجمال الدولة .

ولما تقلب مشرف الدولة على أخيه سلطان الدولة في سنة ٤١١ هـ
وأخذ العراق منه أقر على البصرة أخاه أبا طاهر فمكث على إمارة البصرة إلى أن
مات مشرف الدولة ببغداد في سنة ٤١٦ هـ فبوع بالملك أبو طاهر بجمال الدولة
ابن بماء الدولة ولما كان قد استوطن البصرة أيام إمارته عليها أراد أن يتخذها مقراً
للسلطنة فطلب جيش بغداد قدومه إليهم فأمتنع فخرج جيش بغداد عن طاعته
فأضطر إلى المسير إليهم واستخلف على البصرة ابنه أبو منصور الملك العزيز وفي
أيام إمارة أبي منصور حدثت فتن عظيمة بين الديلم والأتراك في البصرة فأنصر
الأتراك فأخرجوا الديلم منها فهجم الديلم على البصرة ونهبوا بعض القرى فخرج
لقتالهم أبو منصور فطردهم وذلك في سنة ٤١٩ هـ وعلى أثر ذلك أرسل أبو
كاليجار ابن سلطان الدولة المستقل بفارس جيشاً بقيادة أحد زعماء الديلم بختيار
ابن على لأخذ البصرة وبعد حروب استولى عليها عنوة وأنهمز أبو منصور فذهب
الديلم أسواق المدينة وصادروا أموال تجارها ودان النهب سبعة أيام وقتل في هذه
الحادثة من البصريين عدد غير قليل. فدخلت سنة ٤٢٠ هـ فولى أبو كاليجار
على البصرة أبا منصور بن بختيار القائد ابن على .

وبلغ الخبر جلال الدولة فجهز جيشاً كبيراً وسيره بقيادة وزيره أبي على ابن مأكولا في سنة ٤٢١ هـ فصار أبو على في أربعمائة سفينة مشحونة بالرجال ومعه عبد الله الشراي فخرج لقتاله أمير البصرة أبو منصور بن بختيار وبعد حروب انكسر جيشه وانهمزم هو وجيشه وتحصنوا بأبي الخصيب وشرعوا بالدفاع عن أنفسهم فتبعه أبو على فدارت معركة عنيفة دامت أربع ساعات فأنجلت عن اندحار جيش جلال الدولة ووقع قائده أبي على أسيراً .

ولما اتصل خبر الهزيمة بجلال الدولة جهز جيشاً ثانياً فانتصر جيشه ودخل البصرة ظافراً في السنة نفسها ٤٢١ هـ وعلى أثر ذلك جمع القائد بختيار جيشاً جديداً فحمل به على البصرة فدحره جنود جلال الدولة وأسروه فقتلوه وبعد أيام حدث خلاف بين جنود جلال الدولة فتفرقوا فهجمت جيوش أبي كاليجار على البصرة فدخلتها في سنة ٤٢٢ هـ فولى أبو كاليجار على البصرة ظهير الدين بن أبي القاسم فسكن الحال في البصرة حتى إذا ما كانت سنة ٤٢٤ هـ حدث خلاف بين أمير البصرة ظهير الدين وبين سيدة أبي كاليجار فأغتم تلك الفرصة جلال الدولة فسير جيشاً بقيادة ابنه الملك العزيز فلما أقرب جيش جلال الدولة من البصرة انحاز أميرها إلى جلال الدولة وسلم المدينة إلى ابنه الملك العزيز على شرط أن يكون له كمساعد أو مشاور في تدبير شؤون البصرة .

ولم تمض أشهر على إمارة الملك العزيز على البصرة حتى قامت بينه وبين ظهير الدين فتنة أدت إلى حدوث قتال بينهما داخل المدينة وكانت النتيجة طرد الملك العزيز من البصرة فأنحاز ظهير الدين إلى أبي كاليجار وأعتلر إليه فأقره على عمله على أن يدفع إليه في كل سنة سبعين ألف دينار، فدخلت البصرة في ضمان ظهير الدين .

بقى ظهر الدين ابن أبي القاسم مستقلاً بالبصرة استقلالاً إدارياً إلى سنة ٤٣٠ هـ فامتنع عن إرسال المال المقرر إرساله إلى أبي كاليجار وصار تارة يحتج بجلال الدولة وأخرى يميل إلى أبي كاليجار حتى اضطر أبو كاليجار إلى إرسال جيش لقتاله فسير جيشاً بقيادة العادل أبي منصور بن مافته في سنة ٤٣١ هـ وبعد معركتين حوصرت البصرة حصاراً شديداً حتى عجز ظهر الدين عن الدفاع وقتل من جيشه نحو الأربعة آلاف فأضطر إلى الحرب فوقع أسيراً وصودرت أمواله المنقولة والثابتة فاستولى أبي كاليجار على البصرة عنوة ودخلها ظافراً وبعد أيام قليلة سار إليها أبو كاليجار فأقام بها أياماً ثم أعطاها بالضمآن إلى ابنه عز الملوك على أن يدفع إليه في كل سنة مائة ألف دينار وجعل له مساعداً وزيره أبا الفرج بن فسانجس وعاد هو إلى الأهواز.

بقيت البصرة في قبضة عز الملوك بن أبي كاليجار صاحب فارس والأهواز إلى أن تغلب أبو كاليجار المذكور على الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأخذ العراق منه في سنة ٤٣٥ هـ ثم دخل بغداد سنة ٤٣٦ هـ فلقبه الخليفة بمحي الدين فتم أمره في فارس والأهواز والعراق .

ومات أبو كاليجار ببغداد في سنة ٤٤٠ هـ فتولى العراق ابنه أبو نصر الملك الرحيم فعصى عليه أخوه عز الملوك وأستبد بالبصرة في الوقت الذي كانت فيه أحوال الدولة مضطربة جداً وكان البصريون يومئذ قد كرهوا أميرهم لسوء سيرته معهم فتمنوا الخلاص منه على يد الملك الرحيم . فحمل الملك الرحيم على أخيه فالتقى الجيشان في السفن في دجلة في سنة ٤٤٥ هـ فأنذحر عز الملوك وعاد إلى البصرة فتحصن فيها فبعثه أخوه فلما أقرب منه ثار البصريون على أميرهم فطردوه وسلموا المدينة إلى الملك الرحيم وأستقبلوه بالترحاب والسرور وذلك في

سنة ٤٤٦ هـ فأقام الملك بالبصرة أياماً ثم ولى عليها أبا الحرث أرسلان بن عبد الله الباسيري التركي وعاد إلى بغداد .

وكانت الدولة السلجوقية يوم ذاك قد قويت وفتح رجالها بلاداً كثيرة محاذة لشرقي العراق في الوقت الذي كانت دولة بنى بويه قد أزدادت ضعفاً على ضعف وأحل أمرها وسئم الناس حكمها وأصبحت عاجزة عن كل شيء . وكانت النتيجة أن طمع طغر بك السلجوقي في العراق فحمل على بغداد فأستولى عليها في سنة ٤٤٧ هـ وأسر الملك الرحيم فأنقرضت الدولة البويهية من العراق بعد أن ملكته مائة وثلاثة عشر سنة . وقامت على أنقاضها دولة بنى سلجوق الأتراك .

البصرة في عهد السلجوقيين

فتح طغر بك السلجوقي بغداد في سنة ٤٤٧ هـ كما ذكرنا فدانّت له المدين العراقية في عهد الخليفة القائم بأمر الله فوجه الولاة إلى البلاد وولى في السنة نفسها على البصرة هزار أسب بن تكيز بن عياض على أن يدفع له في كل سنة ثلاثمائة وستين ألف دينار (دينار ذلك العهد) فدخلت البصرة في ضمان هذا الأمير التركي وهو أول وال سلجوقي عليها . وفي أيامه ثارت القبائل النازلة بين البصرة وواسط على الحكومة الجديدة فأخضعهم هذا الأمير بالسيف .

وبقى هزار أسب على البصرة وتوابعها إلى سنة ٤٥١ هـ فوجهت ولاية البصر بالضمان إلى الأغر سابور بن المظفر . وتولى طغر بك سنة ٤٥٥ هـ فتولى الملك ابن أخيه ألب أرسلان بن داود ثم تولى الملك بعده ابنه ملكشاه في سنة

٤٦٥ هـ - فأعطيت البصرة بالضممان إلى علان اليهودى فى سنة ٤٦٩ هـ لما
لعلان من الميزة الرفيعة عند الوزير نظام الملك الذى كان قابضاً على زمام المملكة
بيد من حديد فجبى علان الأعشار والرسوم والضرائب من البصرة وعمالها نحو
ثلاث سنوات فمات فى أواخر سنة ٤٧١ هـ بالبصرة . ومما يدل على علو منزلته
فى الدولة يوم ذاك أن السلطان ملكشاه لما بلغه موته حزن عليه وأنقطع عن الركب
ثلاثة أيام . ولما مات أم علان قبله بأشهر مشى خلف جنازتها جميع البصريين إلا
القاضى فبلغ ذلك الوزير نظام الملك فعد عمل القاضى إهانة للحكومة فأغرمه ألف
دينار وهى غرامة غريبة فى بابها .

وعلى أثر موت علان اليهودى أعطيت البصرة بالضممان إلى خواركين
التركي فى أوائل سنة ٤٧٢ هـ على أن يدفع إلى خزانة الدولة السلجوقية فى كل
عام مائة ألف دينار ومائة حصان .

وفى أيام ملكشاه تولى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد فى سنة ٤٦٧ هـ
قبويع بالخلافة للمقتدى بالله .



غزو الأعراب البصرة واستيلاهم عليها

كانت البصرة قد أعطيت بالضممان إلى العميد بن عصمة في سنة ٤٧٥ هـ بعد نسخ ضمان خمارتكين فلما قامت الحروب بين السلاجوقيين وضعفت الدولة طمع الأعراب بالبصرة فغزاها بنو عامر النازلين في الأحساء فحملوا عليها بعشرة آلاف فارس فأحاطوا بها في سنة ٤٨٣ هـ في عهد السلطان ملكشاه فخرج أميرها العميد لقاتلهم فلما لم يكن عنده جيش يكفى لصدهم انسحب إلى نمر معقل فبلغ البصريين أنسحابه فحالفوا على أنفسهم من القتل فتركوا أوطانهم وفروا إلى بلاد أخرى فدخلت بنو عامر البصرة فنهبوا وغربوا وأحرقوا عدة مواضع من جملتها مخزن الكتب التي أوقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان فيه على ما يروى عشرات الألوف من الكتب الثمينة وخزانة الكتب التي أوقفها أبو الفرج بن أبي البقاء وكان فيها على ما قيل خمسون ألف كتاب. وغربوا أوقاف البصرة . وظلوا ينهبون المدينة نهاراً ثم يخرجون منها ليلاً فينهبها أصحاب ابن العميد ليلاً . وبقي هذا الحال المريع أياماً .

ولما بلغ خبر هذه الغارة إلى بغداد وجهت الحكومة سيف الدولة إلى طرد الأعراب من البصرة بأمر من السلطان ملكشاه فسار سيف الدولة بجيش كبير فوجدهم قد خرجوا منها وفروا إلى جزيرة العرب . فمات السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٥ هـ فقامت الحروب بين الأمرة المالكة حتى تم الأمر في السنة نفسها على السلطان بركيارق فوجهت إمارة البصرة في سنة ٤٩٣ هـ إلى الأمير قماج.

وفى أيام بركيارق توفى الخليفة المقتدى بالله ببغداد فجأة فى سنة ٤٨٧ هـ فبيع بالخلافة لابنه المستظهر بالله . وكانت أيام بركيارق كلها فن وحروب .

استبداد إسماعيل بن سلاجق بالبصرة وعصيانه فيها

بقى الأمير قسباج التركى على البصرة أشهراً ثم استخلف عليها نائباً إسماعيل بن سلاجق التركى فأستقام أمره فيها سنتين ثم طمع بالملك فعصى وأستقل فى الوقت الذى كانت فيه الاضطرابات الداخلية متوالية فى المملكة وقد استبد أكثر العمال . فأوعزت الحكومة إلى مهذب الدولة بن أبى الخير صاحب البطيحة بقتال إسماعيل وطرده من البصرة فسار مهذب الدولة ومعه معقل بن صدقة بن الحسين الأسدى صاحب الجزيرة الديسية يقود كل منهما جيشه فالتقوا بإسماعيل فقتل معقل فأنفل جيشه فأضطر مهذب الدولة إلى الرجوع وذلك فى سنة ٤٩٤ هـ .

وقوى أمر إسماعيل وكثرت جموعه واتسعت إمارته وأزداد قوة بالاختلاف الواقع بين السلاطين السلاجقة فخفف الضرائب والرسوم عن أهل البصرة ليجلب قلوبهم إليه ثم راسل سيف الدولة وأظهر له أنه فى طاعته ثم حاول أخذ واسط ففشل وفى أيامه حمل فى سنة ٤٩٥ هـ على البصرة أبو سعيد بن مضر صاحب عمان فوصلت جيوشه شط العرب فقطعوا الطريق وقتلوا وغلبوا ثم جرت مراسلات فى الصلح بين أبى سعيد وبين إسماعيل فلم يتم الصلح فحمل أبو سعيد

على إسماعيل فأقتل الجيشان فأنكسرت عساكر إسماعيل فأضطر إلى طلب الصلح
فتوسط بينهما وكيل الخليفة فتم الصلح على يده .
فلما أَسْتَقَرَّ الأمر للسلطان محمد السلجوقي أراد أن يرسل إلى البصرة
مقطعاً يأخذها من إسماعيل فخطب في ذلك سيف الدولة صاحب الحلة حتى أقرت
البصرة على سيف الدولة فوجه السلطان عميداً إليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان^(١)
هناك فمنعه إسماعيل ولم يمكنه من عمله . فبلغ السلطان محمد ذلك وكان قد تولى
السلطنة بعد موت أخيه بركيارق في سنة ٤٩٨ هـ فأمر سيف الدولة بطرد
إسماعيل من البصرة .



(١) وكانت الحكومة السلجوقية ترسل إلى كل بلد عميد يتولى ما يتعلق بالسلطان كما
كان الخليفة يرسل وكيلاً عنه ليقوم بما يتعلق بديوانه في تلك البلد . فكانت المدن إذا
أعطيت بالضممان يرسل السلطان عميداً ويرسل الخليفة وكيلاً أو نائباً .

إمارة سيف الدولة على البصرة

ثمياً سيف الدولة لقتال إسماعيل ولكنه أشتغل بقتال منكبرس الذى خرج على السلطان وقصد واسطاً. فأخر مسيره إلى البصرة ولكنه أرسل إلى إسماعيل عاملاً من قبله فقبض عليه إسماعيل وأعتقله . فوصل الخبر إلى سيف الدولة فجهز جيشاً كبيراً قاده بنفسه وقصد البصرة في سنة ٤٩٩ هـ .

ولما بلغ إسماعيل قدوم سيف الدولة بالجيش أستعد للحرب وحصن المدينة وقلاعها وأعتقل الوجوه من العباسيين والعلويين وغيرهم من الأعيان فحاصر سيف الدولة المدينة براً وفعراً وكان جيشه عشرين ألف مقاتل على ما نقل فخرج لقتاله إسماعيل فقتل فتحصن بالمدينة وأخذ بالدفاع فدام الحصار أشهراً ثم هجمت جنود سيف الدولة هجمة نهائية فدخلت المدينة في سنة ٥٠٠ هـ وانتهت هذه الحادثة بانتصار سيف الدولة ودخوله ظافراً . فأنهزم إسماعيل إلى قلعة الجزيرة فامتنع بها ثم طلب الأمان فأمنه سيف الدولة فسار إلى فارس .

ومما يؤسف عليه أن جيش سيف الدولة حينما دخل البصرة فاتحاً فلب بعض المخلات . وعلى ما نقله بعضهم أنهم استمروا على النهب ثلاثة أيام ثم نودى بالأمان .

ومكث سيف الدولة في البصرة أياماً نظم فيها شؤون المدينة ثم أمستاب عنه مملوكاً كان جده دبى اسمه التوتاش (ويروى نونتاش والتوتاش) وجمل معه مائة وعشرين فارساً وسار هو إلى مقره الخلة .

مضت ثلاثة أشهر على نيابه أنوتاش على البصرة فأجتمعت ربيعة وأنضم إليها المتفكيون ثم قبائل أخرى من الإعراب وأتفقوا على غزو البصرة وكانوا على ما يروى خمسة آلاف مقاتل فهجموا على البصرة عنوة في سنة ٥٠٠ هـ . فقتلوا ونهبوا أكثر الأسواق والدور وأحرقوا بعضها وغربوا كثيراً من الدور حتى قال بعضهم : خرب في هذه الحادثة نحو الستة آلاف دار وعشرة آلاف دكان منها حرقاً ومنها هدماً ، ودام النهب والسلب شهراً ثم خرجوا بعد أن انهزم أكثر البصريين من أوطانهم وتفرقوا في البلاد .

وبلغ سيف الدولة خبر الإعراب على البصرة وأمر نائبه فأرسل جيشاً لطردهم فوصل جيشه وقد خرج القوم من المدينة وفارقوها .



إمارة الأمير أقسنقر البخارى على البصرة

عندما اتصل بالسلطان محمد السلجوقى خير هجوم الإعراب على البصرة وما فعلوه فيها من الأفعال المنكرة من نهب وقتل وتخريب انتزاع إمارتها من سيف الدولة فى سنة ٥٠٢ هـ وولى عليها الأمير أقسنقر البخارى وجعله شحنة وعميداً^(١) فاستقام أمره فيها فعاد كثير من البصريين إلى أوطانهم فأقام هذا الأمير إلى سنة ٥٠٥ هـ ثم استخلف عليها سنقر البياى وسار هو إلى فارس. فأحسن سنقر السياسة والتدبير وسار سيرة مرضية فى الأهلىن فبقيت البصرة تحت حكمه بالنيابة عن الأمير أقسنقر حتى مات السلطان محمد ببغداد فى سنة ٥١١ هـ وجلس مكانه ابنه السلطان محمود فأقره على عمله . وفى أيامه مات الخليفة المستظهر بالله فى سنة ٥١١ هـ فبويغ بالخلافة لابنه المسترشد بالله .



(١) الشحنة هو الذى يعولى جباية الأموال كالضرائب والأعشار وغير ذلك . والعميد هو الذى يعولى ما يتعلق بالسلطان من الأمور السياسية والإدارية والأحكام . وكان السلطان نسخ الضمان وسلم شؤون البصرة كلها إلى هذا الأمير .

استيلاء ابن سكيان على البصرة

بقى سنقر البياي حاكماً على البصرة بالنيابة عن الأمير آقسنقر البخارى إلى سنة ٥١٣ هـ فثار أحد أمراء الجيش اسمه غزغلى وهجم على الخجاج وكان أمير الحج يومئذ على بن سكيان حتى دخل المدينة في أثرهم فوجد فتنة جديدة قامت بين الحساكم وبين رؤساء الجيش فأغتنم فرصة تلك الفتنة فتغلب على الولاية في السنة نفسها ٥١٣ هـ .

ولما استتب أمر على بن سكيان بالبصرة كتب إلى الأمير آقسنقر البخارى يعرض له الطاعة ويطلب منه توجية النيابة إليه ، فلم يجبه الأمير إلى ما طلب فأستبد ابن سكيان بالأمر ولكنه سار سيرة حسنة في البصريين وجاملهم وولاهم وبقي مستقلاً فيها على سنة ٥١٤ هـ .

دخلت سنة ٥١٤ هـ فسير السلطان محمود جيشاً كبيراً بقيادة الأمير آقسنقر السبخارى لطرد على بن سكيان من البصرة فالتقى الأميران وتقاتل الجيشان وبعد حروب استولى الأمير آقسنقر على البصرة عنوة في سنة ٥١٥ هـ ودخلها ظافراً وانقسم ابن سكيان فاستقام أمر الأمير في هذه المدينة مدة حتى إذا ما كانت سنة ٥١٧ هـ ثار صاحب الحملة ديبس بن سيف الدولة وخرج على السلطان والخليفة معاً فحاربه حكومة بغداد حتى تمزق جمعه فالتجأ بقبائل المنتفك فأغراهم على غزو البصرة وأخذها فوافقوا وساروا معه حتى هجموا عليها ودخلوها فنهبوا أسواقها

وقتلوا رئيس جيشها فبلغ الخبر حكومة بغداد فسارت لقتاله جيشاً بقيادة البرسقى فأغزى ديبس ومن معه ودخلوا البادية فدخل البرسقى البصرة بدون قتال فتولى شؤونها، فبقيت البصرة تحت حكم السلاطين السلاجقة يحكمها أمراءهم إلى سنة ٥٤٧ هـ ثم عادت إلى الخلفاء وسيأتي ذكر ذلك .

رجوع البصرة إلى الخلافة العباسية

كانت البصرة قد خرجت من سلطة الخلفاء منذ تسلط على الخلافة بنو بويه وأسس معز الدولة البويهى دولته في العراق في سنة ٣٣٤ هـ في عهد الخليفة المستكفى بالله وظلت كذلك حتى أنقضت الدولة البويهية وقامت على انقاضها الدولة السلجوقية في سنة ٤٤٧ هـ في عهد الخليفة القائم بأمر الله وتوالى حكم سلاطين السلاجقة على العراق وليس للخلفاء غير الخطبة والتوقيع على المناشير حتى مات السلطان محمود السلجوقى في سنة ٥٢٥ هـ وجلس ابنه السلطان داود فثار عليه عمه السلطان مسعود فأستمرت بينها الحروب إلى تغلب على الأمر السلطان مسعود في سنة ٥٢٦ هـ فأغتم الخليفة المسترشد بالله فرصة تلك الحروب فأرجع أكثر حقوق الخلافة المغصوبة وألف له جيشاً في بغداد وأصبح مطاعاً نفاذ الكلمة في أكثر شؤون البلاد العراقية وقاتل الخارجين عليه حتى خافه السلاجقة أنفسهم. وظل يجتهد في أرجاع جميع حقوق الخلافة مفتعماً فرصة ضعف

الدولة السلجوقية وبعد رجائها عنه وأنشغلهم في الحروب التي دامت بينهم أعواماً طويلاً. ولكنه أخطر بقوته فحارب السلطان مسعود وحمل عليه إلى همدان وبعد حروب انحاز أكثر قواده الأتراك إلى السلطان وغدروا به فأنخذل ووقع أسيراً في قبضة السلطان مسعود فخدعه بعقد اتفاقية فأوعز إلى الأتراك بقتله فقتلوه غدراً في أواخر سنة ٥٢٩ هـ بظاهر مراغة وعادت سلطة السلاجقة على العراق .

تولى الخلافة بعد المسترشد ابنه الراشد بالله ثم خلع في سنة ٥٣٠ هـ فتولاها المقتضى لأمر الله فسمى في إعادة حقوقه حتى إذا ما تولى السلطان مسعود في سنة ٥٤٧ هـ وكثرت الفتن والحروب بين آل سلجوق وانفرد الخليفة المقتضى بالحكم في العراق وزال نفوذ السلاجقة وأصبح الأمر كله للخليفة لا يشار فيه أحد وعادت البصرة إلى الخلفاء يولون عليها من شأؤوا. وهو الذي ولى على البصرة في سنة ٥٥٤ هـ كمشتكين التركي وعزل عنها الشيخ معروف رئيس المنتفق الذي تولى إمارتها منذ سنة ٥٣٢ هـ .

وتولى الخليفة المقتضى في سنة ٥٥٥ هـ فبيع لابنه المستجد بالله فأقر على البصرة كمشتكين . وسار هذا الخليفة سيرة أبيه في الحزم والعزم وضبط الأمور ولى أيامه أستولى على ابن شنكا على البصرة .



استيلاء ابن شنكا

على البصرة

في الوقت الذي كان فيه كمشكين التركي على البصرة كان ابن شنكا (أو ابن شنكاه) على مدينة واسط في عهد الخليفة المستجد بالله . وكان كمشكين قد اشتغل بجمع الأموال وأهل أمر المدينة وغفل عن الطامعين بإمارته فطمع به ابن شنكا فحمل عليه في سنة ٥٦١ هـ فنهب القرى والضياع ثم رجع وأعاد الكرة في سنة ٥٦٢ هـ فاستولى على البصرة عتوة بعد أن هب وخرب أكثر المواضع . واتصل خبره بالخليفة المستجد فأرسل لطرده جيشاً بقيادة عميد الدين في سنة ٥٦٣ هـ فأهزم ابن شنكا ودخلت جيوش الخليفة ظافرة .

ومات الخليفة المستجد في سنة ٥٦٦ هـ فتولى الخلافة المستضيء بأمر الله فعلى سنة ٥٧٥ هـ وجلس مكانه الناصر لدين الله وكانت البصرة تحت حكم الخلافة إلى سنة ٥٧٧ هـ فأقطع الخليفة الناصر لدين الله ولاية البصرة إلى أحد مماليكه المعروف بالأمير طغرك بك فمكث هذا الأمير في البصرة إلى سنة ٥٨٠ هـ فولى نائباً عنه محمد بن إسماعيل .



غزوة العامريين على البصرة

وفي أيامه : حمل على البصرة بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة العامري وساروا إليها من الإحساء في سنة ٥٨٨ هـ فلما أقربوا منها خرج لقتالهم محمد بن إسماعيل فقاتلهم طول النهار فلما جن الليل ثلم بنو عامر سور المدينة ودخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلوا ونهبوا فأهزم محمد بن إسماعيل . وكان قد كتب قبل وصول بني عامر إلى رؤساء المنتفق وخفاجة يطلب منهم النجدة فوصل منهم جمع كبير بعد دخول الغزوات بيوم فبلغ ذلك بني عامر فخرجوا مسرعين فالتقوا بالمنتفق وخفاجة بضواحي المدينة وبعد قتال انتصر بنو عامر فعادوا إلى البصرة وعاد النهب والسلب مرة أخرى فأضطرب البصريون إلى ترك بلدهم فأهزموا منها بأنفسهم . فبلغ بني عامر خبر تجهيز الجيوش من بغداد لقتالهم فخرجوا من المدينة بعد بضعة أيام . فعاد البصريون إلى أوطانهم وذلك في السنة نفسها ٥٨٨ هـ .



البصرة في أواخر

عهد العباسيين



كانت ولاية البصرة قد وجهها الخليفة الناصر لدين الله إلى الأمير ملتكين التركي في سنة ٦١٨ هـ فأستب أمره فيها إلى سنة ٦٢٢ هـ في السنة التي تولى فيها الخليفة الناصر وتولى الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله فحمل على البصرة جلال الدين بن حوارزم شاه بجيش كبير فخرج لقتاله الأمير ملتكين فاستمرت بينهما الحروب أكثر من شهر حتى وصل المدد من بغداد فأهزم جلال الدين .

وظلت البصرة في قبضة الخلافة العباسية يتولاها الولاة حتى مات الخليفة الظاهر في سنة ٦٢٣ هـ وجلس مكانه المستنصر بالله فمات في سنة ٦٤١ هـ فتولى الخلافة المستنصر بالله فلما حمل هولاكو بجيش المغول على بغداد وقضى الدولة العباسية في سنة ٦٥٦ هـ واستولى على العراق كله دخلت البصرة في حكمه .



الدولة الايلخانية المغولية

في البصرة

أو خراب البصرة القديمة



كانت البصرة القديمة حينما استولى هولاكو على العراق في سنة ٦٥٦ هـ وقبض على الدولة العباسية وأسس الدولة الايلخانية قد خربت من توالى الفتن والحروب وهجمات الإعراب والنزح أهلها إلى بلاد أخرى حتى إليها حاكماً ولكنها كانت فوضى حتى مات هولاكو في سنة ٦٦٣ هـ وتولى الملك ابنه أبا قاخان . وبقيت تحت حكم ولاية بغداد يولون عليها من شاؤا في عهد الملك تاكشور دار أو أحمد الذى تولى في سنة ٦٨١ هـ وأيام أرغون خان المتولى في سنة ٦٨٣ هـ وأيام كيخا تو خان سنة ٦٩٠ هـ وبايدرخان سنة ٦٩٤ هـ وغازان سنة ٦٩٥ هـ فتم خراب البصرة القديمة في عهده في سنة ٧٠١ هـ في الوقت الذى كانت فيه الحروب مستمرة بين آلا هولاكو والفتن على ساق وقدم . فقامت مكان البصرة القديمة البصرة الجديدة التى سبغت عن كيفية تأسيسها وما جرى فيها إلى آخر أيام الدولة العثمانية التركية .



تتممة

لما كانت البصرة باب العراق ومركزاً وسطاً بين سورية والحجاز ونجد وفارس وغيرها أهتم بها الخلفاء الراشدون حتى زهت في أول عهدها بأعظم الرجال وصارت في القرون الأولى من بنائها دار العلوم والفنون ومجتمع المجتهدين ومركز الآداب ومهد الحضارة والتجارة وال عمران ومعدن الثروة وأخذت تتوسع عاماً فعاماً خصوصاً في أيام بنى أمية فأقيم أهتماموا بها أهتماماً عظيماً قاصدين بذلك تضعيف أمر يثرب (المدينة) مقر العلويين الطامعين بالخلافة . فتهاوت إليها الناس من كل الجهات فأزدحمت بالوف من التجار وأهل الصناعة والمعارف على أختلاف مللهم وتحللهم وطار صيتها في الآفاق حتى عظم شأنها وأصبحت من أعظم بلاد الإسلام في عهدهم واشتهرت بالسعة وال عمران وكثرة الخيرات . وظل السعد يخدمها حتى سماها العرب خزانة العرب وقبة الإسلام كما كانت الكوفة يوم ذاك تسمى قبة الإسلام .

وأزددت هذه المدينة عمراناً وثروة وزهواً وشهرة في العصر العباسي الأول حتى صارت في ذلك العهد من أكبر المدن الشرقية وسكنها كبار الرجال من العباسيين والعلويين ورجال العلم والأدب وثقافت إليها العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة والتجار وأرباب الصناعة وغيرهم فابتنوا فيها القصور الشاذلة والمباني الفخمة وأنشأوا الحدائق الغناء والميادين الواسعة والبرك والبساتين وحفروا عشرات الألواف من الأنهار وكثرت فيها المدارس الكبيرة والمعاهد العلمية وأمتدت تجارة أهلها إلى الهند والصين شرقاً وأقصى بلاد المغرب غرباً وإلى الحيشة جنوباً .

وكانت السفن التجارية التي ترسو في مينائها وتحمل أصناف التجارة من الأقمشة والحبوب المختلفة والتمور وغيرها تعد بعشرات الألوف . وبلغت ضرائب تلك السفن مبلغاً عظيماً منذ عهد الأمويين إلى أواخر العصر العباسي الزاهر ثم نقصت حينما ضعفت دولة بني العباس حتى أصبحت (ضريبة السفن التجارية) في أيام الخليفة المقتدر بالله في سنة ٣٠٦ هـ (٥٧٥ و ٢٢ ديناراً سنوياً) .

أما بساتينها فكانت ممتدة إلى عبادان عند الخليج الفارسي تتخللها ألوف الأنهار ومئات القصور والحدائق المزينة بأنواع الرياحين والأزهار حتى اشتهرت بالمناظر الأنيقة والميادين العجيبة والبرك الفسيحة والفواكة البديعة والمباني الفخمة والقصور الشائعة وكثرت الخيرات .

أما جوامعها فكانت كثيرة جداً وأشهرها الجامع المعروف يوم ذاك بمسجد الإمام علي الذي كان في وسطها وكان من أحسن المساجد وأنظمها وأفسحها وأحكمها وكان صحنه مفروشاً بالخصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع^(١) وكان عليه بناء عالياً مثل الحصن . وكان قد علق على جداره الخارج ألوف من حلقات الحديد ليربط خيل من يدخل الجامع من أشراف العرب وزعمائهم والواردين من النواحي ، حتى بالغ بعضهم فقال كانت تلك الحلقات سبعين ألف حلقة ولكنها مبالغة غير معقولة . وكان في هذا الجامع القرآن الذي كان عثمان بن عفان يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها الآية : ﴿ فسيفكهم الله وهو السميع العليم ﴾ .

وبدا انحطاط هذه المدينة منذ ضعفت الدولة العباسية فظلت تنحط سنة فسنة وتزداد انحطاطاً بسبب توالي الفتن والحروب فيها وظل الأمر كذلك في عهد

(١) وادي السباع مشهور وهو على ستة أميال من البصرة .

السبويين وأيام السلجوقيين وفي العهد العباسي الأخير حتى أصبحت في القرن السابع للهجرة لا تزيد على ثلاث محلات كبار (محلة هذيل ومحلة بنى حرام ومحلة المعجم) .

ثم توالى عليها النكبات وأغار عليها الخوارج حتى اضطروا من بقى من أهلها إلى الهجرة منها فتركوها بالتدريج فخربت عن آخرها ————— وتم خرابها في سنة ٧٠١ هـ .

ومن أسباب خرابها ظلم الولاة واستبدادهم فيها وهجمات الأعداء عليها ووخامة الهواء الحاصلة من تعفن المياه المحيطة بها المنبعثة من إنكسار سد الجزائر وتفشى الطواعين .

ولقد أنجبت البصرة القديمة عدداً لا يحصى من العلماء والأدباء والخطباء والكتاب والمحدثين والمؤلفين والشعراء ورجال الدين وأئمة اللغة والنحو والفلسفة . وفي أزمان مختلفة منذ أسست على آخر أيام العباسيين خصوصاً في عهد الأمويين وفي العصر العباسي الزاهر .

ومن مشاهيرها من رجال العلم والأدب :

- أبو الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ .
- والحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- ومحمد بن سيرين المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- والفرزدق الشاعر المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- والمهلب بن أبي صفرة القائد الكبير المتوفى سنة ٨٣ هـ .
- وابن جريح المتوفى سنة ١٥٥ هـ .
- والخليل بن أحمد النحوى المتوفى سنة ١٦٠ هـ .

- وبشار بن برد الشاعر المتوفى سنة ١٦٨ هـ .
- وشبيب بن شيبة التميمي المتوفى سنة ١٦٥ هـ .
- وعبد الله بن المقفع المقتول سنة ١٤٢ هـ .
- وأبو عبيدة معمر بن المخني المتوفى سنة ١٩٣ هـ .
- وأبو فيد مؤرج السدوسي المتوفى سنة ١٩٥ هـ .
- وسيبويه النحوي المتوفى سنة ١٨٠ هـ .
- والأخفش المتوفى سنة ٢١١ هـ .
- وعبد الله بن داود الحريري المتوفى سنة ٢١١ هـ .
- والأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ .
- وإبراهيم بن سيار المتوفى سنة ٢٢١ هـ .
- وأبو عثمان الجاحظ المتوفى سنة ٢٢٥ هـ .
- وأبو الهذيل محمد بن العلاف المتوفى سنة ٢٢٦ هـ .
- وأبو علي الضحاك الشاعر الخليلي المتوفى سنة ٢٥٠ هـ .
- وأبو داود أئحدث المتوفى سنة ٢٧٥ هـ .
- وأبو بكر العبدى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ .
- وأبو القاسم نصر الحنزارزى الشاعر المتوفى سنة ٣١٧ هـ .
- وأبو الحسن علي الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ .
- وأبو يعقوب يوسف اللغوى المتوفى سنة ٤٢٣ هـ .
- وأبو عبد الله بن الشباس الذى أدعى الألوهية المتوفى سنة ٤٤٤ هـ .
- وأبو محمد القاسم الحريري المتوفى سنة ٥١٣ هـ .

وغير هؤلاء كثيرون كحماد والسيد الحميري وخلف الأحمر ويونس بن حبيب والوزير أحمد بن عمار وزير المعتصم وأبو زيد الأنصاري ويزيد بن المهلب وهارون بن موسى اليهودي وأبو الحسين محمد المعروف بابن لنكك الشاعر وابن إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وميمون الأقرن وأبو الحسن النضر بن شميل التميمي المازني والحسين بن حمدان مؤسس الديانة النصرية وعلى بن محمد القيسى الخارجي وأبو محمد عبد الله الأكفاني وأخوان الصفا وهم زيد بن رفاعة وأبو سليمان محمداً بن مشعر السقي المعروف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الربيعي وأبو أحمد المهرجاني والعلوي .

وغيرهم ممن لو ذكرنا أسمائهم وتراجهم لاحتجنا إلى تنميق كتاب كبير . أما الذين ماتوا بالبصرة ودفنوا فيها من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل فهم عدداً ما ذكرنا أسمائهم كثيرون أيضاً فمن هؤلاء من الصحابة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأبي بكره وعتبة وغيرهم ممن استشهدوا يوم الجمل وكانوا كثيرين . ومن التابعين محمد بن واسع وعتبة الغلام ومالك بن دينار وسهل ابن عبد الله التستري (والحسن البصري ومحمد بن سيرين وحماد) . وفيها ماتت حليلة السعيدية أم النبي صلى الله عليه وسلم في الرضاعة . وعلى ستة أميال من البصرة قرب وادي السباع دفن أنس بن مالك .



الفصل الثانى

البصرة الحديثة

ذكرنا قبل هذا فى محله أن الخليفة المعتمد على الله كان قد سير أخاه طلحة الملقب بالموفق باثمة بجيش كبير إلى البصرة فى سنة ٢٦١ هـ لقتال على بن محمد القيسى صاحب الزنوج الذى أشغل الدولة العباسية بالحروب أعواماً فلما وصل الموفق البصرة ورأى صاحب الزنوج قد اتقى بالقرب من البصرة مدينة كبيرة وحصنها بالأسوار والأبراج والعدد والعدد وأخذها مقرأاً للحركات الحربية اتبنى الموفق مدينة صغيرة على نهر الابللة أو على شط العرب تبعد عن البصرة القديمة بنحو ٢٨ ألف قدم (فوت) إلى الشمال الشرقى (أو تبعد عن القديمة بنحو ساعتين) لحسن موقعها الجغرافى وجعلها مركزاً عاماً لجيشة ومقرأاً للحركات الحربية فعرفت بالموقية نسبة إليه فلما انتصر انتصاراً ثانياً على صاحب الزنوج وقتله فى سنة ٢٧١ هـ بقيت هذه المدينة عامرة ثم سميت على توالى الأعوام باسم البصرة (تصغير البصرة) وصارت منتزهاً ومصيفاً للولاة والوجهاء فابتنوا فيها القصور والمنازل حتى توسعت وزادت عمارتها على توالى الأيام وأخذ البصريون يهاجرون إليها زويداً وريداً فما تم خراب البصرة القديمة إلا وصارت هذه مدينة كبيرة وسميت البصرة واندس اسم الموقية وأسم البصرة وقامت مقام القديمة فى سنة ٧٠١ هـ فى عهد السلطان غازان أحد ملوك الدولة الإيلخانية التى أسسها

هولاكو المغولي في العراق بعد دولة بني العباس في سنة ٦٥٦ هـ أعنى أنها قامت مقام القديمة في أوائل القرن الثامن للهجرة الموافق لأوائل القرن الرابع عشر الميلادي .

البصرة الحديثة في عهد الإيلخانيين

كانت البصرة الحديثة في عهد الملك غازان أوقازان الإيلخاني المغولي تابعة لبغداد ترسل إليها الأحكام من قبل الحاكم العام المقيم ببغداد وظلت على تلك الحال حتى مات هذا السلطان في سنة ٧٠٣ هـ وتولى الملك ابنه السلطان خدابنده محمد ثم تولى بعده ابنه السلطان أبو سعيد بما درخان في سنة ٧١٥ هـ وفي أيامه في سنة ٧٢٥ هـ كان على البصرة أميراً ركن الدين الفارسي التوريزي . فلما مات أبو سعيد هذا في سنة ٧٣٦ هـ وتولى السلطنة أربا غارون أو أرباخان ثار حاكم العراق ببغداد على بادشاه فنأدى بسلطنة موسى خان أحد أفراد الأسرة المالكة فقامت الفتن والحروب بين التتارين فتغلب على بعض البلاد الفراتية الممالك ملوك مصر والشام وتغلبت قبائل العرب على البصرة والكوفة وعلى أكثر البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق . وانتهت فتنة التتارين بقتل أر باغاوون وصار الملك إلى موسى خان فقتل بعد بضعة أشهر فعادت الحروب بين أفراد العائلة المالكة وبقيت البلاد العراقية فوضى فحمل الشيخ حسن الكبير الجلائري التتري بجيش جرار وكان أميراً على التتار الرحل المبثوثين في آسيا الصغرى فالتقى بحاكم العراق موسى خان وبعد حروب انتصر عليه وقتله ثم سار إلى العراق فاستولى عليه في سنة ٧٣٨ هـ وأسس الدولة الجلائرية في العراق .

البصرة في أيام الدولة الجلائرية وأيام تيمور لنك

بعد أن استقر أمر الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلائرية النورية في العراق في سنة ٧٣٨ هـ وجه الولاة إلى البلاد ومنها البصرة فبقيت هذه المدينة يحكمها رجاله إلى أن تولى في سنة ٧٥٧ هـ وتولى العراق ابنه السلطان أويس ثم مات في سنة ٧٧٦ هـ فأستقل بالعراق ابنه السلطان حسين فقتله أخوه السلطان أحمد في سنة ٧٨٤ هـ وجلس مكانه فقامت المعارك والحروب بين رجال الأسرة المالكة حتى ضعفت الدولة في الوقت الذي كان فيه الفاتح المشهور تيمور لنك ملك التتر قد قسوى أمره وعظمت سطوته واستولى على بلاد كثيرة كفارس وخراسان وسجستان وأفغانستان وأذربيجان وغيرها حتى وجه نظره إلى العراق فحمل عليه في سنة ٧٩٥ هـ فانهزم السلطان أحمد لعدم قدرته على صده فاستولى تيمور لنك على بغداد أولاً ثم على بقية المدن العراقية فوجه الولاة إلى الأمصار وترك في كل مدينة حامية وسار هو لفتح الهند .

وكان السلطان أحمد قد فر إلى مصر ملتجئاً بسلطانها الملك الظاهر بربوق فجهز له جيشاً كبيراً وسيره معه إلى بغداد فلما أقرب منها انضمت إليه أكثر القبائل العراقية فحاصر بغداد فأضطر الحاكم الأمير مسعود البزايى إلى الهزيمة منها فدخلها السلطان أحمد في سنة ٧٩٧ هـ فعادت له أكثر المدن العراقية .

أما تيمور لنك فإنه بلغه ما قام به السلطان أحمد الجلائرى من استرجاع العراق فكر راجعاً في سنة ٨٠٣ هـ وبعد حروب استولى على بغداد عنوة (مرة ثانية في السنة نفسها) .

ومات تيمور لنك في سنة ٨٠٨ هـ أثناء عودته من بلاد الصين فتولى الملك بعده حفيده خليل بن ميران شاه بن تيمور لنك فأغتنم الفرصة السلطان أحمد الجلائرى فعاد إلى العراق واستنفر القبائل العراقية فأنضم إليه خلق كثير وبعد معارك استرد بغداد في السنة نفسها ثم استرد بقية المدن العراقية فاستقام أمره في العراق .

ولم يكسد السلطان أحمد يستريح من تيمور لنك ومن قام بعده حتى حدثت بينه وبين قره يوسف التركمانى صاحب ديار بكر وأذربيجان حروب في سنة ٨١٣ هـ انتهت بقتل السلطان أحمد غدرأ في السنة نفسها في جوار تبريز ثم أنفرضت دولة الجلائرين في سنة ٨١٤ هـ وقامت على أنقاضها في العراق دولة الخروق الأسود التركمانية^(١) وكانت البصرة في أيام الجلائرين كغيرها من بلاد الرافدين بحكمها الولاية المستبدون ولم يصلنا عنها خبر يستحق الذكر .

وأول من ملك العراق من ملوك دولة الخروق الأسود قره يوسف ثم ولى على العراق ابنه الشاه محمود في سنة ٨١٥ هـ فقتل في سنة ٨١٧ هـ فتولى العراق أخوه الشاه محمد بن قره يوسف فقتل أيضاً في سنة ٨٤١ هـ وصارت السلطنة إلى مير زاجهان شاه بن قره يوسف وتم أمره في العراق وديار بكر وأذربيجان وفارس وكرمان فولى في سنة ٨٦٧ هـ على العراق ابنه بير بداق غير أن الحروب بقيت بين رجال هذا البيت حتى ضعف أمرهم وأصبحت البلاد التي تحت حكمهم

(١) سميت دولة الخروق الأسود (قره قويونلى) لأن ملوكها كانوا يرمون على أعلامهم خروفاً أسوداً كما كانت دولة الخروق الأبيض ترسم على أعلامها خروفاً أبيضاً .

ومنها البصرة فوضى تقريباً ولم تكد تلك الفتى تنهى حتى طمع فى هذه الدولة حسن الطويل التركمانى مؤسس دولة الخروق الأبيض (أبق قو يونلى) فى ديار بكر فقامت بينه وبين جهان شاه حروب دامت ستين فأنتهت باستيلاء حسن الطويل (اوزون حسن) بن على بيك على قسم من بلاد هذه الدولة فى سنة ٨٧٢ هـ ثم عادت الحروب بين الدولتين فأنجلت عن انقراض هذه الدولة فى سنة ٨٧٤ هـ فقامت مكانها فى العراق دولة الخروق الأبيض . ولم يملك العراق من رجال دولة الخروق الأسود غير أربعة ملوك ولم يكن ملكهم فى هذا القطر أكثر من ستين سنة .

ولم يكن رجال دولة الخروق الأبيض أهلاً للملك بل كانوا كرجال الدولة التركمانية المنقرضة ومن أجل ذلك قامت بين أفراد الأسرة المالكة حروب عنيفة بعد موت حسن الطويل فى سنة ٨٨٣ هـ فقتل أكثرهم واستمرت الفتى والحروب حتى تولى آخرهم السلطان مراد بن يعقوب شاه فى الوقت الذى كانت فيه الدولة الصفوية الفارسية قد قوى أمرها وفتحت بلاداً كثيرة فحمل الشاه إسماعيل الصفوى على العراق فى سنة ٩١٤ هـ وأخذ من السلطان مراد بعدة حروب . ولم تكن مدة حكم دولة الخروق الأبيض فى العراق أكثر من أربعين سنة ولم يصلنا عن البصرة فى عهد هاتين الدولتين التركمانيتين شىء يستحق الذكر ولا شك أنها كانت فى اضطراب كبيرها من المدن العراقية بسبب توالى الفتى والحروب منذ قامت الخروق الأسود إلى أن انقرضت دولة الخروق الأبيض هذه .



البصرة في عهد الدولة الصفوية الفارسية

كان الشاه إسماعيل الصفوي بن حيدر مؤسس الدولة الصفوية في إيران قد فتح بلاداً كثيرة وأسس مملكة واسعة الأطراف وكان طامحاً في العراق فلما قوى أمره ورأى أصحاب العراق قد أمكنهم الحروب الداخلية حمل عليه في سنة ٩١٤ هـ كما تقدم وبعد حروب استولى على بغداد أولاً ثم على غيرها فلدانت له أكثر بلاد الرافدين ولكنه لما أنشغل في حروب خراسان حمل السلطان مراد بن يعقوب شاه على بغداد في سنة ٩١٦ هـ فأستردها فأعاد الكرة الشاه إسماعيل فطرد السلطان مراد من العراق طرداً نهائياً وقرض دولة الخروقي الأبيض التركمانية في سنة ٩٢٠ هـ وولى على العراق حاكماً عاماً أحد رجاله المدعو إبراهيم خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الأمير على البلاد التابعة له رجالاً من خاصته ومنها البصرة .

وتوفي الشاه إسماعيل في سنة ٩٣٠ هـ فتولى الملك ابنه الشاه طهماسب الأول وكان قاسى الحكم فولى على البلاد العراقية رجالاً قساة مثله فظلموا الناس حتى اضطروا أكثر أهل البلاد إلى الهجرة من أوطانهم وعصت أكثر القبائل العراقية واستقلت بنفسها .

وتقلب في السنة نفسها ٩٣٠ هـ على بغداد الأمير ذو الفقار بن نخود سلطان ^(١) رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية وكان قبل ذلك مستولياً على أطراف لورستان فلما دانت له بغداد وبعض مدن الرافدين احتفى بالسلطان سليمان القانوني العثماني وأرسل إليه وفداً من بغداد لعرض الطاعة والدخول تحت سيادته وخطب له على المنابر وضرب السكة بأسمه . أما الشاه كهماسب فإنه لما بلغته أعمال ذى الفقار تريت حتى إذا ما كانت سنة ٩٣٦ هـ حمل على بغداد بجيشه فحاصرها ولكنه لما عجز عن أخذها بالقوة خصانة أسوارها يوم ذاك ركن على الخداع (والحرب خدعة) فأغرا على بيك وأحمد بيك أخوى ذى الفقار وأطمعهما بالمناصب الرفيعة والمال فأتخدعا فأغتالا أخاهما وقتلاه غدراً وسلموا المدينة إلى الشاه في سنة ٩٣٦ هـ وعلى أثر سقوط بغداد سلمت أكثر المدن فولى الشاه على العراق حاكماً عاماً بكلو محمد خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الأمير على البصرة والجزائر قانسويك الفارسي وبقيت هذه المدينة وسائر المدن العراقية خاضعة للفرس حتى حمل السلطان سليمان القانوني على العراق ودخل بغداد فاتحاً في سنة ٩٩٤ هـ .



(١) ويسرى أنه كان أميراً على بغداد من قبل الشاه وقد وجهت إليه غمارتها في سنة ٩٣٤ هـ فخلع الشاه طهمااسب بعد أشهر وأعلن استقلاله . وقيل وجهت إليه إمارتها في سنة ٩٣٠ هـ فاستقل فيها .

البصرة في العهد العثماني الأول

يقول بعض المؤرخين أن الذي حل السلطان سليمان القانوني على أشهار الحرب على الصفويين قسوة الفرس واضطهادهم السنة أبناء مذهبه في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية قد بلغت فيه مبلغاً عظيماً من القوة .

فصمم السلطان على الانتقام منهم فأعلن الحرب عليهم فالتصحت جيوشه تبريز ثم بغداد في سنة ٩٤١ هـ ثم الموصل ودانت له بلاد الرافدين . ولعله اتخذ اضطهاد أبناء مذهبه ذريعة للاستيلاء على هذا القطر شأن أكثر الملوك حينما يخدمهم السعد وتقبل عليهم الدنيا .

أما البصرة فأما كانت يوم مجيء السلطان سليمان إلى بغداد بعد دخول جيشه فيها بأيام تحت حكم أمير فارسي اسمه راشد خان وكان قد بلغه سقوط بغداد وغيرها فخاف على نفسه ومنصبه فسار إلى بغداد للمثول بين يدي هذا الفاتح الكبير فلما قدمها عرض الطاعة والخضوع فأقره السلطان على البصرة على شرط أن تكون الخطبة والنقود باسم السلطان وأن يكون ممثلاً لأوامر ولاية بغداد الأتراك في المسائل الهامة فعاد راشد خان إلى منصبه ولكنه استبد بالأمور بعد أشهر كأن لم تكن له رابطة بالدولة العثمانية فأضطرت إلى إرسال جيش بقيادة الوزير

إيـاس باشا لـطرد راشد خان من البصرة ^(١) فلما أقرب جيش الأتراك فر راشد خان فدخل الأتراك البصرة بدون حرب في سنة ٩٥٣ هـ فنظم إيـاس باشا شئون البصرة وضم إليها واسطاً وجزائر شط العرب .

وظلـت البصرة في قبضة الأتراك التابعين لولاية بغداد إلى سنة ١٠٠٥ هـ فاستقل بها أمراؤها واستبدوا فيها وحكموا أهلها بما تشبهه نفوسهم ودخلت سنة ٩٧٠ هـ فوجهت إمارة البصرة إلى درويش علي باشا التركي وكان هذا ساء التدبير غير كفؤ للحكم فزل نفوذه وقلت الأموال عنده حتى عجز عن أرزاق الجند المحافظين للمدينة .



(١) ويسرى أن السلطان سليمان باشا لما استولى على العراق كان على البصرة حاكماً مغماس بن مانع وهو الذى خضع للسلطان وأرسل ابنه راشد لعرض الطاعة لحكم مغماس البصرة ست سنوات ثم أستبد بالأمور وعصى على ولاية بغداد الأتراك وكان سبب عصيانه أن جماعة من عصوا بحكومة بغداد كانوا قد التجأوا بمغماس فطلبهم إلى بغداد منه فأمتنع عن تسليمهم فأشتد الخلاف حتى عصى مغماس فكتب بذلك الوالى على السلطان فأمر بطرده من البصرة وسيره جيشاً لأخذها منه بقيادة والى بغداد إيـاس باشا وبعد حروب أهزم مغماس إلى نجد فاستولى الجيش العثماني على البصرة وذلك في سنة ٩٥٣ هـ .

استقلال

الأمراء بالبصرة

كان رجل في البصرة يدعى الفراسياب الديري^(١) وكان كاتباً لأميرها على باشا فلما ضعف أمر الأمير وقلت عنده الأموال وعجز عن تدبير شؤون الإمارة وإعاشة الجند حتى أستخف به الأهليون تساوم مع كاتبه الفراسياب على إمارة البصرة فباعها له بثمانية أكياس من الذهب (والكيس ثلاثة آلاف محمدية) على شرط أن يكون الفراسياب خاضعاً لسلطين آل عثمان وأن يخطب لهم على المنابر ويضرب السكة بأسمائهم وعلى هذه الشروط استلم الفراسياب إمارة البصرة وأستلم على باشا المال وصار على الأمانة وذلك في سنة ١٠٠٥ هـ في عهد السلطان مراد الثالث وهذا الحال أعقب بيع إمارة كإمارة البصرة التي هي باب العراق سواء علم بذلك السلطان أو بالعكس مما يدل على شيوع الفوضى في المملكة العثمانية يوم ذاك .

ولم تمض على أمر الفراسياب أشهب حتى قوى أمره وخافه الأمراء وكان أهلاً للإمارة فاحبه الناس لسيrote الحسنة ثم أستولى على أكثر الجزائر ومنع ما كان يأخذه من البصرة حاكم الخويزة السيد مبارك خان من الجوائز السنوية التي كانت أشبه بالجزية (أو الخاوة) وكذلك منعه من أخذ شيء من جهة شط العرب

(١) الديري نسبة إلى الدير الذي هو موضع في شمال البصرة . ويروى أن الفراسياب من نسل آل سلجوق الأتراك وأن أهل الدير أخواله .

الشرقية ^(١) وظل السعد يخدم افراسياب حتى بقى مستقلاً بالبصرة وما يتبعها سبع سنون ، فتولى بالبصرة في سنة ١٠١٢ هـ وتولى الإمارة ابنه على باشا بوصية منه وكان حازماً كآبيه فافتتح بقية الجزائر ^(٢) وكوت معمر وكوت الزكية وفتح صدره للعلماء والشعراء وأمن السبل ، وفي أيامه ولد بالبصرة في سنة ١٠٢٥ هـ شهاب الدين بن معنوق الموسوي البصري الشاعر المتوفى سنة ١١١١ هـ .

وفي أيامه في سنة ١٠٣٦ هـ زحف القائد الفارسي صفى قلى خان بجيش كبير من الفرس على البصرة بأمر من الشاه عباس الأول بعد أن أفتح الشاه بغداد في سنة ١٠٣٢ هـ فحاصر هذا القائد البصرة حصاراً شديداً دافع في خلاله على باشا دفاع الأبطال وبينما هم في ذلك إذ فاجئهم خبر موت الشاه فتركوا الحصار وعادوا إلى بغداد إذ كان صفى قلى خان يوم ذاك قائداً لجيش بغداد الفارسي .

وبقى على باشا منفرداً بالحكم حتى مات في سنة ١٠٥٧ هـ فتولى الإمارة ابنه حسين باشا فورده منشور السلطان بتوجيه الإمارة إليه على جرى العادة في ذلك العهد فاستبد بالأمور وأساء السيرة والتدبير وظلم الأهلين حتى كرهوه

(١) يقول بعض المؤرخين أن السيد مبارك هذا هجم بمجموعة سنة ١٠٠٦ هـ على قرى البصرة لقتل ونهب فوجهت الدولة العثمانية إيالة بغداد للوزير حسن باشا وأودعت إليه قيادة جيوش العراق وضمت إليه شهر زور على أن يقمع الفتن التي يثيرها السيد مبارك في جهات البصرة ، والظاهر أن المؤرخ أخطأ في التاريخ وأن الحادثة كانت قبل بيع إمارة البصرة إلى الفراسياب . والحويزة قصبة بخورستان أعنى الأهواز .

(٢) الجزائر هي الجزائر المتكولة من سواعد شط العرب وكانت كثيرة منها قرية بني منصور وقرية بني حميد ، وغر عنتر وغر صالح وديار بني أسد وديار بني محمد ، والفتحة ، والقلاع وغر السبع وغر صالح والباطنة والمنصورة والإسكندرية ومواقع أخرى وكسانت الجزائر تشتمل على قرى عديدة معمورة وطوائف كثيرة وهي كثيرة المياه وعرة المسالك .

ونقموا عليه ثم حدثت بينه وبين عمه أحمد أغا وفتحى بك ولدى الفراسياب وحشة فساروا إلى عاصمة آل عثمان فشكلوا إلى السلطان أعمال حسين باشا واستبداده وظلمه فأصدر السلطان محمد الرابع أمره بطرده من البصرة وبتجهيز الجيوش بقيادة والى بغداد مرتضى باشا فجهازت جيوش من بغداد وغيرها من المدن العثمانية وسار مرتضى باشا قاصداً البصرة في سنة ١٠٦٣ هـ .

وبلغ ذلك حسين باشا فاستعد للحرب وحسن القلاع خصوصاً قلعة القورنة^(١) فالتقى الجيشان وبعد قتال حاصر مرتضى باشا البصرة ودام الحصار ثلاثة أشهر وانتهى الأمر بهزيمة حسين باشا ودخول مرتضى باشا البصرة ظافراً في سنة ١٠٦٤ هـ وفر حسين باشا بأهله وأمواله وحاشيته إلى بلاد إيران .

ولما دخل مرتضى باشا البصرة صادر أموال جماعة من الوجهاء وقتل بعض الأعيان الموالين لحسين باشا ثم قتل أحمد أغا وفتحى بك واستعمل الشدة والظلم حتى نقم الناس وكرهوه بينما كان الحال بأضطراب إذ حدثت فتنة بين جنود مرتضى باشا الذين في القورنة فثار أهل الجزائر على الباشا وبعثهم أعراب قشعم والمستفيكون وخزاعل وبنو كعب وبنو لام فقتلوا عماله وأصبحت البصرة محاطة بالثالين فأضطر مرتضى باشا إلى الخروج من البصرة منهزماً بعساكره إلى بغداد .

وعلى أثر السحاب مرتضى باشا من البصرة أرسل البصريون غلى أميرهم الفار حسين باشا يطلبون قدومه إليهم فأقبل في السنة نفسها ١٠٦٤ هـ فدخل المدينة باحترام وعاد إلى منصبه فدان للسلطان وكتب إليه بطلب عفوه ويرجوه توجية الإمارة إليه وقدم إليه هدايا ثمينة فصدر منشور السلطان بتوجية إمارة

(١) القورنة كانت قلعة صغيرة فلما تولى البصرة على باشا ابن الفراسياب زاد فيها وجعلها قلعة كبيرة فسميت العلبة ثم زاد في تشييدها واتقاهم حسين باشا بن على باشا وجعلها ثلاث قلاع حصينة .

البصرة إلى حسين باشا ولقبه بلقب الوزير أيضاً على عادة السلاطين في ذلك العهد مع كل أمير قوى . وظل حسين باشا مستقلاً بالبصرة ولكنه أعاد حكمه القاسى وأستبد بالأمور وظلم الناس وتجبر ثم طمع بالأحساء فسير لأخذها جيشاً في سنة ١٠٧٣ هـ فافتتحها جيشه عنوة وقتل بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب وقتل وفر حاكمها محمد باشا إلى عاصمة آل عثمان مستغيثاً بالسلطان فغضب السلطان على حسين باشا وأمر بطرده من البصرة ووجه قيادة الجيش إلى والى بغداد إبراهيم باشا فاجتمع الجنود العثمانية من البلاد في بغداد فسار الوالى بجيش كبير قاصداً البصرة في سنة ١٠٧٥ هـ .

واتصل خبر هذه الحملة بحسين باشا فاستعد للحرب فالتقى الجيشان عند قلعة القورنة رحى الحرب بين الفريقين ثم حاصر إبراهيم باشا القورنة حصاراً شديداً وفي أثناء ذلك أرسل إلى البصريين كتاباً يدعوهم للخضوع على السلطان ويحذرهم عاقبة العصيان ويعد لهم وعنتهم فثاروا على محمد بن فداغ نائب حسين باشا فقتلوه وقتلوا أعوانه وطردوا من البصرة عيال حسين باشا فبلغ ذلك حسين باشا وهو يومئذ محاصر في القورنة فأرسل ثلاثة آلاف فارس من قبائل المنتفك وأهل الجزائر للتنكيل بالبصريين فهجموا عليهم ليلاً فقاتلهم البصريون داخل المدينة ولكنهم انكسروا وفروا فقتل الأعراب أحد الوجهاء الشيخ ذى الكفل وجماعة من الوجهاء وغيرهم ونهبوا وخربوا وأحرقوا دوراً كثيراً وقتكوا بالأهلين .

واستمرت الحرب بين إبراهيم باشا وبين حسين باشا ثلاثة أشهر فعجز الأول فاضطر إلى المصالحة وبعد مراسلات تم الصلح على شروط منها أن يدفع حسين باشا نفقات هذه الحرب ستمائة كيس من النقود وأن يسلم في كل سنة مائتي كيس من النقود إلى خزينة الدولة وأن يعيد متصرف الإحساء محمد باشا إلى منصبه . وتعهد إبراهيم باشا بصدور عفو السلطان وتوجيه إمارة البصرة إلى حنين

باشا وأخذ معه يحيى أغا بن على أغا صهر حسين باشا ليأخذ منشور السلطان بالإمارة ورجع إبراهيم باشا إلى بغداد وعاد حسين باشا إلى البصرة وانتهت هذه الفتنة في سنة ١٠٧٦ هـ .

ولما رجع إبراهيم باشا إلى بغداد ومعه يحيى أغا اغرم أربعة من الكواوزة الذين ضاق بهم الحال مع حسين باشا لسوء سيرته وهم أحمد بن محمود وإبراهيم بن على وأثنان آخران ^(١) وانضموا إلى إبراهيم باشا ثم توجهوا مع يحيى أغا إلى الآستانة فأطعموه بولاية البصرة فاتفق معهم وغدر بصاحبه وحبيه حتى إذا ما وصلوا الآستانة شكى جميعهم إلى السلطان ظلم حسين باشا واستبداده واتفق في تلك الأثناء وصول كتاب من وجهاء البصرة على السلطان مع جماعة منهم يشكون فيه أعمال حسين باشا وحكمه القاسى وأخذ الأموال بالباطل ، إذا اغتصب أموال التجار والأعيان وفكك بكثيرين منهم بعد مصالحته مع إبراهيم باشا وإلى بغداد فأجتمع الوجوه سرّاً وكتبوا كتاباً على السلطان شكوا فيه ما يقاسونه من الظلم والعنف والاستبداد وأرسلوه مع جماعة منهم إلى العاصمة ليقدّموه إلى السلطان .

فلما كثرت الشكوى على حسين باشا عند السلطان أصدر أمره بطرده من البصرة طرداً نهائياً وتوجه إمارتها إلى يحيى أغا ووجه إليه رتبة الوزارة فدعى يحيى باشا وأودعت قيادة الحملة إلى الوزير إبراهيم باشا وإلى بغداد ويرى أن قيادة هذه الحملة كانت قد أودعت إلى الوزير قرة مصطفى باشا بأمر من السلطان محمد الرابع في سنة ١٠٧٨ هـ فأجتمع الجيش العثماني ببغداد وانضمت إليه جيوش

(١) الكواوزة أو بيت الكواز ينسبون على الكواز الشيخ محمد المشهور بالكواز وهم أولاده ولهذا البيت مولدة رفيعة بالبصرة والشايخ أنهم من نسل العباسيين وهم المعروفون اليوم بأل باشا أعيان .

السرفة والموصل وشهر زور وغيرها حتى بلغ عدد الجيش على ما قيل خمسين ألف مقاتل .

وأصل خبر هذه الحملة الكبيرة بحسين باشا فاستعد للحرب وصادر أموال التجار والمثريين وأرسل أمواله وعياله على بلاد إيران وظل يجمع الجموع حتى بلغ عدد جيشه خمسة عشر ألف مقاتل فتوجه به نحو القورنة فأصدر أمره بإخلاء البصرة فأخلوها في ثلاثة أيام وخرج أهلها من ديارهم في أسوأ حال ثم أمره أهل القرى التابعة للبصرة بالجلء عن ديارهم فتركوها بعد أن نبت رجاله أكثر أموالهم وقتلوا وعذبوا من خالف الأمر وكان الموظفون على تخليه تلك الديار أعوان هذا الأمير القاسي الحكم منهم أحد مماليكه على بن أحمد بن شاطر وحسن ابن طهماز وغيرهما .

والتقى جيش السلطان بجيش حسين باشا بالقرب من القرنة وبعد معارك دامت أياماً انكسرت جيوش حسين باشا فاضطر إلى أن يتحصن في قلاع القورنة فأنزمت عساكره ثانية واستولى الجيش التركي على قلاع القورنة فأعمل السيف في أهلها وقد قتل في هذه المعركة الأخيرة نحو الأربعة آلاف من الأعراب فأنزمت حسين باشا بحاشيته إلى بلاد إيران قاصداً شيراز فدخل الجيش العثماني ظافراً وذلك في سنة ١٠٧٨ هـ ^(١) وانتهى أمر استقلال الأمراء بالبصرة .



(١) وقيل في سنة ١٠٧٩ هـ ثم سار حسين باشا من شيراز إلى الهند وهناك تولى بعض المدن ثم قتل في حرب حدثت بينه وبين أحد الولاة .

ولاية البصرة الأتراك

دخل الجيش العثماني البصرة فتولى ولايتها يحيى باشا ورتب جيشاً لحماية المدينة ونظم شؤنها ولكنه بعد أن عادت الجيوش إلى أماكنها وقوى أمره تغيرت سيرته فرفض قبول الدفترى (الدفتردار) التركي وأمتنع عن أداء نفقات الجيش ثم طرد الدفترى وأمراء الجيش وطلب أن يتفرد بالحكم على أن يؤدي في كل عام مبالغ كئس من النقود إلى خزانة الدولة وأستمر على عتوة منفرداً بالحكم حتى حدثت بينه وبين الانكشارية الذين في القونة فتنة بسبب تأخير مرتباتهم فأرسل لقتالهم فرساناً من القبائل العربية التي تحت حكمه فقتلوهم ونجا منهم من فر بلغ ذلك السلطان فأصدر أمره بعزله وتوجيه ولاية البصرة إلى قره مصطفى باشا المعروف بقبوحي باشى وذلك في سنة ١٠٨٠ هـ فسار الأمير الجديد بجيش من الأتراك فأستلم البصرة وبقي على إمارتها إلى سنة ١٠٨٣ هـ فأبدل بمحافظ بمداد حسن باشا ثم عزل وتولى مكانه السلاحدار حسين باشا في سنة ١٠٨٥ هـ فظل على ولاية البصرة إلى أن نقل في سنة ١٠٨٨ هـ إلى ولاية ديار بكر فأعيد على البصرة حسن باشا ثم طلبه السلطان في سنة ١٠٩٢ هـ وأرجع على ولاية البصرة السلاحدار حسين باشا ثم عزل في سنة ١٠٩٤ هـ ووجهت ولاية البصرة إلى الوزير عبد الرحمن باشا وكان هذا الوزير من خيرة الولاة عالماً فاضلاً حسن السيرة والتدبير مهتماً للعلم والعلماء فجدد بناء المساجد وأحيا بعض المدارس وأسس

المدرسة المعروفة بالرحمانية (نسبة إليه) وخفف عن الأهليين بعض الضرائب ومن أجل ذلك أحبه البصريون حباً جاً ولكنه عزل في سنة ١٠٩٨ هـ وتولى بدله حسين باشا الكمركجي فأساء السيرة وظلم الأهليين فعزله السلطان في سنة ١٠٩٩ هـ وأعاد الوزير عبد الرحمن ففرح البصريون بعودته فلم يدم فرحهم إلا قليلاً لأن السلطان عزله في سنة ١١٠٠ هـ وولى على البصرة دفترها السابق حسين باشا ومنح له لقب الوزير أيضاً فثار في أيامه سنة ١١٠٢ هـ الشيخ مانع أمير المنتفك وخرج على الدولة فحدثت بينه وبين حسين باشا هذا عدة معارك أنجحت عن إنكسار حسين باشا شر كسرة لعدم نصرة والى بغداد له وكانت النتيجة أن قوى أمر مانع فاستولى بعد انتصاره بقليل على جصان وبدره ومندى . وعلى أثر ذلك عزل السلطان حسين باشا عن البصرة وأرسل بدله الوزير أحمد باشا ابن عثمان باشا .

هجمات المنتفكين

على البصرة

تولى أحمد باشا البصرة فحدث في أيامه طاعون شديد الوطأة فمات به خلق كثير من البصريين فأغتم الأعراب فرصة انشغال البصريين وأميرهم بهذا المرض الفتاك فاتفق أهل الجزائر والمنتفكيون على غزو البصرة ونهبها فحمل عليها منهم ثلاثة آلاف فارس بقيادة أمير المنتفك الشيخ مانع فبلغ ذلك أحمد باشا فلم يتمكن من جمع جيش كاف لصددهم فخرج لقتالهم بمسمائة فارس فالتقى بهم في الدير

فقاتلوا ثلاثة أيام فأنجلت المعركة عن تمزيق جيش البصرة ووقوع أحمد باشا قتيلاً في المعركة .

واتصل خبر هذه الحادثة بالبصريين فاتفقوا على تولية الكتبخدا حسين أغا ليقوم بصد الأعراب فولوه عليهم فجمع منهم جمعاً كبيراً للدفاع وبينما هو في ذلك إذ هجم العائرون على المدينة فوقف لصدهم ودافع دفاع المستميت حتى تمكن من طردهم ولكنه قتل بعد ذلك في سنة ١١٠٣ هـ فاتفق البصريون على نصب حسين الجمال والياً عليهم فقام بالأمر حتى وجهت الولاية إلى خليل باشا أخى والى بغداد أحمد باشا في سنة ١١٠٤ هـ فجمع خليل باشا جيشاً من بغداد وجاءت إليه الجيوش لمجدة من الموصل وشهر زور بأمر من السلطان لقتال أمير المنتفك مانع فقاد الحملة بنفسه حتى ألتقى بمانع في الجزائر وبعد حروب دامت خمسة أيام انكسرت جيوش خليل باشا فأضطر إلى التقهقر فاستولى الأمير مانع على معسكره ونهب أمواله وذخائره وتحصن خليل باشا في البصرة .

وقوى أمر مانع حتى أضطر السلطان إلى استمالة وكتب إليه كتاباً يدعو فيه إلى الطاعة والخضوع وينصحه ويحذره عاقبة الشقاق والخلاف . وأصدر أمره بزيادة مخصصاته فخضع مانع لأمر السلطان وعاد إلى مقره وهدأت الأحوال .



استيلاء المنتفكين على البصرة

لما صفى الجو لحليل باشا والى البصرة أطلق العنان لأعدائه فاستبدوا بالأمر وظلموا الأهليين وأضطهدهم على مرأى ومسمع منه حتى ضاق الحال بالبصريين فاتفقوا على طرده فثاروا عليه وطرده هو وأعدائه وسلموا المدينة إلى أمير المنتفك الشيخ مانع وذلك في سنة ١١٠٦ هـ والظاهر أن الشيخ مانع هو الذي سبب هذه الثورة ليتسنى له الحكم بالبصرة .

وبقى الشيخ مانع أميراً على البصرة إلى سنة ١١٠٩ هـ منفرداً بالحكم والدولة العثمانية لا تبدى حراكاً لضعفها وكانت النتيجة أن خدع حاكم الخويزة فرج الله خان مانعاً وأستعمل عليه الحيل والدماسيس والخداع حتى أخرجه من البصرة فاستولى عليها .



دخول البصرة في قبضة الفرس وإخراجهم منها

استولى فرج الله خان حاكم الخويزة على البصرة كما ذكرنا فلما استتب أمره فيها استخلف عليها أحد رجاله المدعو داود خان فدخلت البصرة تحت سيادة الفرس.

وبلغ خبر إستيلاء فرج الله خان على البصرة إلى السلطان فلم يشأ أن يتركها له وهو من ولاية الفرس المستقلين في تلك الجهات فوجه ولاية البصرة إلى والي حلب على باشا وأمره بجمع العساكر من البلاد لقتاله وإخراجه من البصرة فأجتمعت الجيوش من حلب وديار بكر والموصل وسواس وبغداد حتى بلغ عدد الجيش نحو الخمسين ألفاً على ما نقل فسار على باشا بالجيوش حتى وصل القورنة في سنة ١١١١ هـ فسمع داود خان بقدوم هذا الجيش الكبير فأهزم من البصرة فدخلها على باشا بدون قتال فدانت له المدينة وما يتبعها من القرى والقبائل فساد الأمن والسكون وعادت البصرة إلى الدولة العثمانية بعد أن ملكها حاكم الخويزة الفارسي نحواً من سنتين .



إستيلاء المنتفكين على البصرة ثانية وطردهم منها

دخلت سنة ١١١٤ هـ فوجهت ولاية البصرة إلى محمد باشا القبودان فدام حكمه فيها إلى سنة ١١١٨ هـ فعزل وأرسل بدله الوزير خليل باشا فثار في أيامه في سنة ١١٢٠ هـ أمير المنتفك الشيخ مغماس وهجم على البصرة فأستولى عليها عنوة فأضطربت الأحوال ولقد الأمن وسادت الفوضى فبلغ ذلك السلطان فأصدر أمره إلى والي بغداد حسين باشا بجميع الجيوش وإخراج الأعراب من البصرة فصدع الوالي بالأمر وجاءته النجيدات بأمر السلطان من حلب والموصل وديار وشهر زور حتى اجتمع عنده جيش كبير فصار به قاصداً البصرة .

وأتصل خبر هذه الحملة بمغماس فجمع الجموع من المنتفكين والنجديين واستعد للحرب وبنى قلعة كبيرة على نهر عتتر في القوينة حشد فيها جموعه فوصله الجيش العثماني فاحاط به من كل الجهات فدارت بين الطرفين حرب هائلة انتهت بمجزئة أمير المنتفك في سنة ١١٢١ هـ فأحتل حسين باشا القوينة ثم توجه إلى البصرة فدخلها ظافراً فوجهت ولايتها إلى كتيخدا بغداد مصطفى أغا وبعد ان نظم حسين باشا شؤون البصرة وجعل عليها حامية عاد إلى بغداد وعادت الجيوش إلى أماكنها وانتهت تلك الفتنة .

وبقيت ولاية البصرة تتقل من وزير إلى آخر كلهم من الأتراك العثمانيين من سنة ١١٢٤ هـ إلى سنة ١١٥٦ هـ ولم يحدث فيها في هذه المدة غير تبديل

الولاية وبعض الحوادث الطفيفة بين القبائل العربية تارة وبينهم وبين الولاية أخرى مما لا أهمية له .

إغارة

نادر شاه على البصرة

عندما خلع الشاه عباس الثالث الصفوى وتوصل القائد الفارسى نادر خان إلى الجبلوس على عرش إيران وقرض الدولة الصفوية وأعلن ملوكيته في سنة ١١٤٨ هـ — وسمى نادر شاه ولقب نفسه بطهماسب الثالث طمع بالعراق فأشهر الحرب على الدولة العثمانية فأغار على البصرة والقورة في سنة ١١٥٦ هـ ثم توغل في البلاد الفراتية ووصل الحملة ثم حاصر بغداد في عهد الوزير أحمد باشا فلم يتمكن من أخذها وظلت الحرب بينه وبين الأتراك إلى سنة ١١٥٩ هـ فتم الصلح بينه وبينهم ولم تقف على تفاصيل هذه الغارة على البصرة والظاهر أنه لم يدخل المدينة .

وظل العثمانيون بعد هذه الحادثة يرلون على البصرة متسلماً بعد متسلم إلى سنة ١١٨٨ هـ ولم يحدث فيها في هذه الأعوام الطوال شيء يستحق الذكر سوى ثلاث حوادث الأولى ثورة أمير قشعم محمد بن مانع في سنة ١١٣٧ هـ فأخضعه وإلى البصرة عبد الرحمن باشا ثم عفى عنه وأمنه بعد أن أخذ منه أموالاً كثيرة . والثانية هجرت الشيخ سليمان رئيس قبيلة بنى كعب والتجائه بكرم خان الزندى في سنة ١١٧٨ هـ فأسكنه مع قبيلته بأرض الدورق . وصار تابعاً للفرس بعد ما كان تابعاً للدولة العثمانية بسبب ما قاساه من ظلم وإلى بغداد عمر باشا . والثالثة

صدور أمر والى بغداد عمر باشا إلى متسلم البصرة سلام أغاسى محمد أغا بقتل جماعة من الوجوه وبمصادرة أموال بعض القبائل مما سبب الاختلال بالبصرة .

إستيلاء كريم خان الزندى على البصرة

كانت أحوال البصرة مضطربة جداً في عهد والى بغداد عمر باشا في الوقت الذى كان فيه أمر كريم خان الزندى المتغلب على مملكة إيران قد قوى فأغتم فرصة ذلك الاضطراب فأعلن الحرب على العثمانيين وأرسل أخاه صادق خان بجيش كبير في أواخر سنة ١١٨٨ هـ فحاصر البصرة ومعه الشيخ سليمان رئيس بنى كعب بقبائله وعلى البصرة يومئذ متسلماً سليمان بك أحد المماليك الأتراك المعروف بأبى سعيد الذى تولى إمارتها في سنة ١١٨٢ هـ . فدام الحصار ثلاثة عشر شهراً في عهد السلطان عبد الحميد الأول حتى اضطّر المتسلم سليمان بك الدفء الطويل إلى التسليم في سنة ١١٩٠ هـ (وسبب ذلك تقاعد والى بغداد عمر باشا عن نصرته مع أن السلطان كان قد أرسل نجدة ومالاً لصد الفرس وأرسل جماعة من القواد الكبار إلى بغداد ليجهزوا الجيوش فقطعوا بالمناصب والأموال وتقاعدوا عن أمر البصرة ثم حدثت بينهم فتن عديدة مما لا محل لذكرها في هذا المختصر على أن المتفكرين كانوا قد جاؤا نجدة للبصريين وقتلوا معهم ولكنهم لما طال أمد الحصار رجعوا إلى موطنهم) .

ولما دخل صادق خان البصرة بعد أن أمن المتسلم والوجوه أسر المتسلم وجماعة من الأشراف والأعيان والتجار وساقهم محفورين إلى شيراز عاصمة أخيه

كريم خسان وأضطهد الأهليين حتى إذا ما كانت سنة ١١٩٢ هـ حدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد المنتفك فجهز جيشاً كبيراً فسيره بقيادة أخيه محمد على خان وعلى المنتفك فجهز جيشاً كبيراً فسيره بقيادة أخيه محمد على خان وعلى المنتفك يومئذ الأميران ثامر بن معدون وثويبي بن عبد الله . فبلغ ذلك المنتفكيون فاستعدوا للقتال واجتمعوا بالفصيلة (ويروى الفضيلة) قرب الفرات فالتقى الجيشان فاستمرت الحرب يوماً وليلة وكانت حرب عنيفة فأنجلت عن الهزام الفرس اشنع هزيمة بعد أن قتل منهم عدد كبير فلاحق المنتفكيون المنهزمين وطاردوهم ففرق عدد كثير من الفرس في الفرات وغنم المنتفكيون أموالهم وحيولهم وعادوا منصورين إلى موطنهم .

أما صدق خان فإنه حتى على المنتفكين حنقاً شديداً عند وصول شراذم جيشه المنهزمين وصمم على الانتقام منهم فجهز في سنة ١١٩٣ هـ جيشاً جديداً لغزوهم وصيره بقيادة محمد على خان أيضاً وأرسل معه أخاه الآخر مهدي خان والشيخ سليمان رئيس بني كعب بقبائله العربية القحطانية . فبلغ خبر تلك الحملة المنتفكين فاستعدوا للحرب فالتقى الجمعان بأبي حلانة فأراد المنتفكيون الصلح عندما شاهدوا كثرة العدد والعدد غير أن نفوسهم ابت قبول الشروط التي شرطها القائد الفارسي ففضلوا الموت على الذل فجرت بين الفريقين حرب دموية هائلة استمرت فيها العرب فهجموا هجمات عنيفة لم يسمع بمثلها فأنتهت الحرب بتمزيق الجيش الفارسي ووقوع القائد محمد على خان وأخوه مهدي خان قتيلين مع من قتل من الفرس فأقرم من بقي منهم فطاردوهم العرب ولحقوا فللوهم إلى البصرة وهناك حاصروهم فيها بعد أن غنموا منهم أموالاً وسلاحاً وخيلاً وأتفق في أثناء ذلك موت كريم خان الزندي ووصول نعيه إلى البصرة .

فلما دخل المنهزمون من الفرس البصرة وحاصر العرب المدينة حتى ضيقوا على حاميتها خاف صادق على نفسه من أن يمد والى بغداد المنتفكين فيقع في الأسر وقد أصبح بعد موت أخيه وحيداً لا ناصر له خصوصاً وأن زكى خان كان قد تغلب على عرش إيران فأنزَم من البصرة ليلاً باتباعه في السنة نفسها ١١٩٣ هـ فدخلها المنتفكون وكتبوا بذلك إلى حكومة بغداد وعلى ولايتها يوسف الكتخدا إسماعيل بك وكيلاً فأرسل إلى البصرة متسلماً نعمان بك وانتهت هذه الحادثة بعد أن دام حكم الفرس بالبصرة نحواً من ثلاث سنوات .

تسلم نعمان بك متسلمية البصرة وعلى أثر وصوله أطلق الفرس الأسراء ومن جثتهم سليمان بك المتسلم فأرجعه السلطان إلى منصبه بعد أيام قليلة ثم وجه إليه بعد أشهر ولاية العراق فعرف بالوزير سليمان باشا الكبير وبعد وصوله بغداد بأيام أرسل سليمان أفندي للتسلم في سنة ١١٩٤ هـ .

وفي أيام سليمان أفندي المتسلم في سنة ١١٩٩ هـ ثار أمير خزاعة حمد بن حمود على الحكومة فشن الغارات على أطراف البصرة فاستجند المتسلم بسليمان باشا فجهز له جيشاً كبيراً فالتقى الجيش بالثائر في الأهواز فانتصر عليه وفرق جموعه وفر حمود إلى الحسكة وعلى أثر ذلك عزل سليمان أفندي في سنة ١٢٠٠ هـ وأرسل بدله من بغداد إبراهيم بك متسلماً على البصرة .



استيلاء المتفكيين على البصرة

كان قد خرج على حكومة بغداد رجل يدعى عجم محمد فجمع لاجموع من أهل البلاد والقبائل فقاتله الوزير سليمان باشا حتى مرق جموعه فتلاه سليمان بك الشاوي فثار أيضاً على الوزير طمعاً في منصبه وحاول على ما ينقل تأسيس دولة عربية في العراق ولكنه فشل وتفرقت جموعه فالتجأ بأمر المنتفك ثويني بن عبد الله كما التجأ عجم محمد بأمر خزاعة حمد بن جود فأغرى كل منهما صاحبه على الثورة فاتفق الجميع على قتال سليمان باشا وخلعه من ولاية العراق فأجتمعوا وأعلنوا الخروج فحملوا على البصرة وزعيمهم أمير المنتفك ثويني ولكن كل من الأربعة يريد الولاية لنفسه . فهجموا على البصرة في أواسط سنة ١٢٠٠ هـ وبعد حرب طقيفة استولوا عليها وقبضوا على متسلمها إبراهيم بك فحبسوه وصادروا أمواله ثم نفوه إلى مسقط وصادروا أموال أكثر التجار وجبوا الرسوم والضرائب وضيّقوا على الناس حتى اضطّر أكثرهم إلى الهجرة إلى بغداد وغيرها .

واتصل خبر هذه الحادثة بالوزير سليمان باشا فجهز جيشاً كبيراً من العرب والأكسراد والأنكشارية وغيرهم وسار به نحو البصرة على طريق المنتفك وهناك التقى بالثائرين في محل يسمى أم العباس فأوقع بهم ومزقهم فأنهزم أميرهم ثويني فولى الوزير على المنتفك أميراً جود بن ثامر بن سعدون ثم صار إلى البصرة فأنهزم منها من كان فيها من الثائرين فدخلها بسلام في أواخر سنة ١٢٠١ هـ وبعد أن نظم شؤونها ولى عليها متسلماً مصطفى أغا الكردي وجعل لحمايتها فرقة من عساكر الأكسراد وعاد هو ومن معه إلى بغداد .



الغارة في البصرة وغارة أمير نجد عليها

بقى مصطفى أغا الكردي على البصرة إلى سنة ١٢٠٣ هـ فأمتنع عن إرسال الخراج إلى بغداد وعصى على الحكومة وبعد حوادث طويلة قتل رئيس بؤارج الدولة مصطفى أغا الحجازي وسعى في إيقاد ثورة في البلاد ولكنه لم ينجح في مساعاه فزحف عليه الوزير سليمان باشا بجيشه حتى دث من البصرة فأهزم مصطفى أغا إلى الكويت فدخل الوزير البصرة فولى عليها متسلماً عيسى بك المارديني وذلك في سنة ١٢٠٤ هـ .

وظل عيسى بك في منصبه إلى سنة ١٢٠٨ هـ فعزله الوزير وأرسل بدله عبد الله أغا فمكث في منصبه إلى سنة ١٢١٣ هـ فحدث بينه وبين الوزير سليمان باشا خلاف فعصى عليه فجهز الوزير لقتاله جيشاً فأهزم عبد الله أغا ولكنه بعد أيام قليلة سار إلى بغداد وخضع للوزير وطلب عفوه فعفى عنه وأرجعه إلى منصبه في سنة ١٢١٤ هـ فدام حكمه في البصرة إلى سنة ١٢١٦ هـ فعزله الوزير وأرسل بدله صهره سليم بك .

ولما مات الوزير سليمان باشا الكبير ببغداد في سنة ١٢١٧ هـ عزل صهره سليم بك عن البصرة^(١) وأرسل بدله إبراهيم أغا متسلماً .

(١) وسليمان باشا هذا هو الذي جدد سور البصرة وأسواقها وعمر قصبة الزبير .

وفي أيام المتسلم إبراهيم أغا هذا في سنة ١٢٢٠ هـ زحف أمير نجد سعود ابن عبد العزيز بمجموعه على البصرة فهجم عليها فدافع المتسلم دفاعاً شديداً حتى ضاق الحال بأهل المدينة فاستغلثوا بالمتفكرين فجاءهم حمود بن ثامر بمجموعه لمجدة فأضطر أمير نجد إلى الانسحاب ولكنه عند عودته أحرق بعض القرى ونهب وخرب.

وعزل المتسلم إبراهيم أغا في سنة ١٢٢٣ هـ وأرسل بدله من بغداد سليم بك فاستقر أمره في البصرة حتى إذا ما كانت سنة ١٢٢٥ هـ حدث بينه وبين الوزير سليمان باشا القليل وحشة فأوعز الوزير إلى أمير المنتكح حمود بن ثامر بطرده من البصرة فحمل عليه حمود ففشل المتسلم وتفرقت جموعه فأضطر إلى الهزيمة فدخل حمود البصرة وكتب بذلك إلى الوزير فأرسل أخاه أحمد بك مسلماً للبصرة في السنة نفسها .

وعلى أثر الوزير سليمان باشا الصغير (أو القليل) عزل أخوه أحمد بك عن البصرة ووجهت مسلميتها إلى رضوان أغا في سنة ١٢٢٦ هـ ثم عزل وأرسل بنسله يعقوب أغا سنة ١٢٢٧ هـ فعزل أيضاً في سنة ١٢٢٨ هـ وتولى مكانه سعيد أغا فعزل بعد سنة وأرسل بدله في سنة ١٢٢٩ هـ بكر أغا فمكث هذا في منصبه إلى سنة ١٢٣٦ هـ فعزل وخل مكانه محمد كاظم أغا باني السوق المعروف اليوم بسوق كاظم أغا . وفي أيامه خرج على الحكومة محمد بن ثاقب بن وطبان الزبيرى فهجم بمجموعه على قصبة الزبير أولاً . فصدده عنها أهلها بمساعدة آل الزهير ثم قصد البصرة فجمع كاظم أغا الأهلين وضم إليهم جيشه فدافع حتى تمكن من طرد الفائر .

وعزل كاظم أغا في سنة ١٢٣٩ هـ فعين مسلماً على البصرة عبد الغنى أغا فعزل بعد سنة .

غارة المتفكيين وهجوم بني كعب على البصرة

تولى متسلمة البصرة في سنة ١٢٤٠ هـ عزيز أغا وكان أهلاً لهذا المنصب فدام حكمه إلى سنة ١٢٤٧ هـ وفي أيامه في سنة ١٢٤٣ هـ عزل الوزير داود باشا حموداً عن إمارة المتفك لأمر نقمها عليه وولى بدله على المتفك عقيل بن محمد بن ثامر فثار غضب حمود وأعلن الخروج على الدولة وجمع الجموع وسيرها بقيادة ابنه ماجد وفيصل لأخذ البصرة وخشى الفشل فراسل سلطان مسقط السيد سعيد ورؤساء بني كعب يطلب منهم النجدة فجاءته نجدة مسقط في السفن ونجدة بني كعب على الخيل ، فقتل ماجد بالجيش البري قريباً من نهر معقل^(١) ونزل فيصل بالجيش البحري أو النهري بأبي سلال فلما تكاملت الجيوش حاصروا البصرة براً ونهراً فدافع البصريون دفاعاً شديداً وعاضدهم بنو عقيل النجديين وقتلوا معهم فدامت المعارك بين الفريقين نحواً من شهرين فأنجلت عن هزيمة الهاجيين في السنة نفسها .

وفي أيامه في سنة ١٢٤٦ هـ على أثر عزل الوزير داود باشا وأسرته وتولية إمارة العراق على باشا اللاظ هجمت عشيرة بني كعب على البصرة فقاتلهم البصريون بزعامة آل الزهير ومعاضدة بني عقيل النجديين فطردوهم خاسرين .

(١) نهر معقل أحد أنهار البصرة القديمة وينسب إلى معقل بن يسار بن عبد الله الذي أحضره ومعقل هذا من مشاهير البصرة وقد تولى في أيام معاوية بن أبي سفيان .

وعلى أثر هذه الحادثة عزل على باشا أغا وأرسل بدله متسلماً على البصرة
عبد القادر باشا فمات هذا بالبصرة في مرض الطاعون بعد بضعة أشهر من توليته .
وعزيز أغا هذا هو الذي جدد بناء مسجد بدر المتصل بسوق كاظم أغا فعرف
بجامع عزيز أغا .

البصرة بعد الوزير داود باشا

كانت البصرة في عهد الوزير داود باشا أمير العراق قد أخذت تدب فيها
روح المدينة ولكنها ما كانت تنجو من ظلم متسلميها المستبدين من الممالك
الأتراك^(١) حتى إذا ما انتهت حكومة الممالك من العراق في سنة ١٢٤٧ هـ بعد
أسر الوزير داود باشا وشرع ولاية بغداد في بعض الإصطلاحات نالت البصرة شيئاً
قليلاً من ذلك الإصطلاح وظلت تابعة تارة لولاية بغداد يولون عليها من شازا من
أعوانهم وأحياناً يرشح الولاية من أرادوا فيصدر أمر السلطان بتعيينه وآونة يرسل
السلطان متسلماً عليها من عاصمته ، وبقي الحال على ذلك إلى سنة ١٢٨٨ هـ
بعد عزل الوزير مدحت باشا فأنفصلت البصرة عن ولاية بغداد وربطت بالعاصمة
(الآستانه) وصار السلطان يرسل إليها المتصرفين تارة والولاية أخرى ولكن أهلها

(١) وقد حكم البصرة جماعة كثيرة من الممالك الأتراك أشهرهم سليمان بك الذي تولى
متسلميها في سنة ١١٨٢ هـ وسليم بك الذي قتله عبد الله باشا والي بغداد في سنة

ذاقوا مرارات أنواع المظالم من أولئك الرجال الذين تواردوا عليها ممن لا يهمهم غير جمع الأموال بحق أو بغير حق ولا تأخذهم في قبول الرشوة لومة لائم .

ومن الحوادث التي جرت بعد عهد الوزير داود باشا . أخذ عدة مقاطعات من الشيوخ كأراضي مهيجران ونهر حوز وغيره من المتفكيين وضمها إلى أموال الدولة في عهد والي بغداد رشيد الكوزلكي في سنة ١٢٧٣ هـ وأخذ مقاطعات أخرى من بعض رؤساء القبائل وضمها إلى خزينة الدولة في أيام نامق باشا والي بغداد في سنة ١٢٨٢ هـ وسبب ذلك على ما نقل أنهم كانوا قد تغلبوا على تلك الأراضي وأخذوها من الحكومة يوم ضعفها بغير حق .

ومنها هياج وجوه البصريين على المسلم سليمان بك التركي ^(١) الذي تولى البصرة في سنة ١٢٨١ هـ فظلم أهلها وابتز أموالهم حتى اضطروا إلى رفع الشكوى إلى والي بغداد تقي الدين باشا فأكفى الوالي بتفريعه فلم ينته فلما تولى ولاية بغداد نامق باشا رفعوا شكواهم إليه فعزله .

ومنها أن الحكومة بدأت بأخذ الضريبة على النخيل على حساب الجريب منذ سنة ١٢٨٢ هـ ثم ربطت أكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب في سنة ١٢٨٦ هـ وفوضت في السنة نفسها أكثر الأراضي الأميرية بيد المثل . وأسست دائرة البلدية في المدينة ثم أردفتها بتأليف محكمة التمييز وسرت سفناً بخارية في دجلة بين بغداد والبصرة في سنة ١٢٨٥ هـ في عهد الوزير الخطير مدحت باشا . ومنها نصب ناصر باشا السعدون والياً على البصرة في سنة ١٢٩٢ هـ وجعلها ولاية بعد أن كانت متصرفية وعزل باشا في سنة ١٢٩٤ هـ وأرجاع البصرة متصرفية في سنة ١٢٩٧ هـ .

(١) سليمان بك هذا من المماليك الأتراك ويقال أنه جاء من الآستانة منفياً إلى بغداد وهو والد محمود شوكت باشا الشهير .

البصرة في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني

كانت البصرة متصرفية إلى أيام السلطان عبد الحميد الثاني وظلت على حالها حتى إذا ما كانت سنة ١٣٠٩ هـ جعلت ولاية عثمانية فتوالى عليها الولاة الأتراك الذين كانوا يرسلون من الآستانة وكان معظمهم من المستبدين في الأحكام لا يبالون بالظلم وقبول الرشوة وابتزاز أموال الناس من أى وجه كان ولا يهمهم غير منافعهم الشخصية إلا من ندر منهم ولم يحدثوا إصلاحاً يذكر ولا قاموا بعمل حموى ، ومن أشهر هؤلاء الولاة المشير نافذ باشا الذى تولى سنة ١٣٠٥ هـ وهداية باشا المتولى سنة ١٣٠٩ هـ وفخرى باشا الذى تولى وكالة الولاية فى سنة ١٣٢٢ هـ ومخلص باشا المتولى سنة ١٣٢٢ هـ غير أن هذين الأخيرين من خيرة الولاة الذين جازوا فى العهد الحميدى خصوصاً مخلص باشا فإنه كان من المصلحين. على أننا لا ننكر أن هذه المدينة زادت عمارتها ونفوسها فى عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني وصارت حسنة الأسواق كثيرة العمائر مع ما كان يحدث فى ذلك العهد من الاضطرابات بسبب هجمات اللصوص عليها إذا كانت فيها يومئذ عصابات مؤلفة من الأعراب والعبيد المتشردين فكانوا يهجمون على المدينة تارة ليلاً وأحياناً نهاراً فيدخلونها بصورة مريعة فيقتلون وينهبون ثم يعودون إلى أماكنهم بعد أن يأخذوا ما شاؤا من النقود التى للتجار سواء كانت فى الدور أم فى المخازن أم فى الأسواق وعداً ذلك فقد كانت الطرق فى أكثر الأحيان يقطعها اللصوص أو

الأعراب السائرين على الحكومة فيقطع سير البواخر في دجلة ويمكننا أن نقول كانت القوضى ضاربة أطنابها في البصرة وما حوفا في العهد العثماني الأخير . أما العلوم فلم يكن لها أثر في هذه المدينة ولا كان فيها غير عدد قليل من المدارس الابتدائية الرسمية التي أسست في العهد الحميدي .

ومهما كانت حالة البصرة غير مرتاحة في عهد عبد الحميد فأما كانت يومئذ قد زادت عمارتها وتوسعت وأخذت تجارها بالرقي وزادت ثروة أهلها وكثرت نفوسها بسبب كثرة القادمين إليها للتجارة من بلاد مختلفة .

البصرة بعد

اعلان الدستور

أخذت هذه المدينة تسير نحو الرقي وال عمران منذ أعلنت الدولة العثمانية الحكم بالدستور في سنة ١٣٢٦ هـ وقلت هجمات عصابات اللصوص عليها وجرى فيها بعض الإصلاح . ومن أشهر ولائها في ذلك العهد عارف بك المارديني الذي تولى في أول سنة ١٣٢٧ هـ وسليمان نظيف بك الكاتب التركي المشهور المتولي في آخر سنة ١٣٢٧ هـ ولولا الفتن التي كانت تثيرها يد المفرضين حينذاك لزهدت البصرة في تلك الأيام . ويمكننا أن نقول أنها ارتاحت كثيراً في ذلك العهد وأن حدثت فيها بعض الاضطرابات التي لا نرى الوقت مساعداً للذكرها في هذا المختصر ويحق لنا أن نقول أن البصرة لم تر عهداً بعد العصر العباسي الأول مثل عهد الدستور من حيث النهضة التجارية والحركة العمرانية والنظام والانتظام .



سقوط البصرة بيد البريطانيين

قامت الحرب العامة في أواخر سنة ١٣٣٢ هـ وعلى البصرة يومئذ وكيلًا للولاية القائد صبحي بك وكانت الحكومة العثمانية قد سيرت أكثر الجنود العراقية إلى جهات قفقاسيا وأرسلت جيشاً ضعيفاً نحو الخمسة آلاف جندي أكثرهم من العراقيين إلى البصرة وسدت شط العرب عند الفاو فهجم أسطول البريطانيين على الفاو في منتصف شهر ذي الحجة من السنة المذكورة فاندحر الجيش العثماني بعد بضعة أيام ثم انسحب من البصرة في آخر يوم من هذا الشهر لدخل البريطانيون المدينة في اليوم الثاني من محرم سنة ١٣٣٣ هـ ثم سقطت القويرة في ٢٠ محرم سنة ١٣٣٣ هـ بعد معارك عنيفة قام بها القائد العثماني صبحي بك حتى نفذت ذخائره الحربية فأضطر إلى التسليم.

وحاول العثمانيون استرداد البصرة من البريطانيين فجمعوا جيشاً كبيراً فحدثت بين الفريقين حروب دامت ثلاثة أيام في الشعبية فأنتهت بفشلهم وبانتحار القائد سليمان عسكري بك وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٣٣ هـ وعلى أثر ذلك سقطت العمارة في أوائل شهر رجب ثم سوق الشيوخ في أوائل رمضان ثم الناصرية في اليوم التاسع من رمضان وبقيت الحروب بين الدولتين حتى سقطت بغداد بيد البريطانيين في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١١ آذار سنة ١٩١٧ م.



المراجع والمصادر

- | | |
|---|-------------------------------|
| معجم البلدان | لياقوت الحموي |
| وفيات الأعيان | لابن خلكان |
| الأخبار الطوال | لأبي حنيفة |
| الدعاه | |
| التمدن الإسلامي | لخرجي زيدان |
| دائرة المعارف | لفريد وجدي |
| تاريخ ابن الأثير | |
| تاريخ الأمير حيدر | |
| قرة العين في تاريخ بغداد والبصرة وبين النهرين | لرشيد السعدي |
| خلاصة تاريخ العراق | للأب أنستاس |
| الفوز بالمراد | للأب أنستاس |
| تاريخ الأدب العربي | |
| تاريخ أحمد رفيق التركي | |
| تاريخ نعيما التركي | |
| سائنامة البصرة لسنة ١٣١٨ هـ | محمد نجيب بك آل بابان |
| مطالع السعود | |
| القرماني | |
| الصحفة النبهانية | للشيخ محمد النبهاني |
| زاد المسافر | لفتح الله العكي |
| تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ م | لصاحب جريدة العراق رزوق أفندي |
| نزه المشتاق في تاريخ يهود العراق | ليوسف أفندي غنيمة |

فهرست

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة المؤلف	٣
٢	الفصل الأول	٤
٣	البصرة القديمة " تمهيد "	٤
٤	رقعة الحفير	٩
٥	رقعة النقي	١٠
٦	مسير خالد إلى الشام	١١
٧	فتح الأبله	١٣
٨	تأسيس البصرة القديمة	١٤
٩	البصرة في عهد الخلفاء الراشدين	١٨
١٠	رقعة الجمل	٢٢
١١	إمارة عبد الله بن عباس على البصرة	٣٥
١٢	البصرة في عهد الأمويين	٣٩
١٣	إمارة زيد على البصرة	٤١
١٤	الخطبة	٤٣
١٥	خروج البصرة من يد الأمويين	٥٧
١٦	إمارة مصعب بن الزبير على العراق	٦٢
١٧	رجوع البصرة إلى بني أمية	٦٥
١٨	إمارة خالد	٦٨

فهرست

م	الموضوع	الصفحة
١٩	إمارة الحجاج	٧٠
٢٠	إستيلاء ابن الأشعث على البصرة	٧٢
٢١	إستيلاء ابن المهلب على البصرة	٧٤
٢٢	انقراض الدولة الأموية من البصرة	٨٢
٢٣	تنمة لما مر	٨٥
٢٤	البصرة في عهد العباسيين	٨٦
٢٥	فتنة إبراهيم بن عبد الله واستيلائه على البصرة ...	٨٨
٢٦	الاضطرابات في البصرة	٨٩
٢٧	البصرة في عهد الرشيد	٩١
٢٨	البصرة في عهد المأمون	٩٣
٢٩	الفن في البصرة	٩٥
٣٠	إستيلاء الزنوج على البصرة	٩٦
٣١	انتهاء أمر الزنوج	١٠٠
٣٢	المخطاط البصرة وهجمات القرامطة عليها	١٠١
٣٣	الفن في البصرة وهجوم القرامطة أيضاً	١٠٣
٣٤	ولاية ابن رائق على البصرة	١٠٥
٣٥	إستيلاء البريدى على البصرة	١٠٥
٣٦	إستيلاء معز الدولة البويهى على البصرة	١٠٧

فهرس

الصفحة	الموضوع	م
١٠٧	البصرة في عهد بني بويصة	٣٧
١٠٨	إمارة حبشى على البصرة وعصيانه	٣٨
١٠٩	إمارة المرزبان وعصيانه	٣٩
١١٠	عقد الدولة وشرف الدولة والبصرة	٤٠
١١١	البصرة في أيام بهاء الدولة	٤١
١١٣	استبداد أبي العباس في البصرة	٤٢
١١٤	البصرة في عهد سلطان الدولة وجمال الدولة	٤٣
١١٧	البصرة في عهد السلجوقيين	٤٤
١١٩	غزو الأعراب البصرة واستيلائهم عليها	٤٥
١٢٠	استبداد إسماعيل بن سلاجق بالبصرة وعصيانه فيها	٤٦
١٢٢	إمارة سيف الدولة على البصرة	٤٧
١٢٤	إمارة الأمير أقتنغر البخارى على البصرة	٤٨
١٢٥	إستيلاء ابن سكيان على البصرة	٤٩
١٢٦	رجوع البصرة إلى الخلافة العباسية	٥٠
١٢٨	إستيلاء ابن شنكا على البصرة	٥١
١٢٩	غزوة العامريين البصرة	٥٢
١٣٠	البصرة أواخر عهد العباسيين	٥٣
١٣١	الدولة الإيلخانية المغولية في البصرة	٥٤

فهرست

م	الموضوع	الصفحة
٥٥	خراب البصرة القديمة	١٣١
٥٦	تمتة	١٣٢
	الفصل الثاني (البصرة الحديثة)	١٣٧
٥٧	البصرة الحديثة في عهد الإيلخانيين	١٣٨
٥٨	البصرة في أيام الدولة الجلائرية وأيام تيمور لنك ..	١٣٩
٥٩	البصرة في عهد الدولة الصفوية الفارسية	١٤٢
٦٠	البصرة في العهد العثماني الأول	١٤٤
٦١	استقلال الأمراء بالبصرة	١٤٦
٦٢	ولاية البصرة الأتراك	١٥٢
٦٣	هجمات المتفكرين على البصرة	١٥٣
٦٤	إستيلاء المتفكرين على البصرة	١٥٥
٦٥	دخول البصرة في قبضة الفرس وإخراجهم منها ...	١٥٦
٦٦	استيلاء المتفكرين على البصرة ثانية وطردهم منها	١٥٧
٦٧	أغارة نادر شاه على البصرة	١٥٨
٦٨	استيلاء كريم خان الزندي على البصرة	١٥٩
٦٩	استيلاء المتفكرين على البصرة	١٦٢
٧٠	القتال في البصرة وغارة أمير نجد عليها	١٦٣
٧١	غارة المتفكرين وهجوم بني كعب على البصرة ...	١٦٥

فهرست

الصفحة	الموضوع	م
١٦٦ البصرة بعد الوزير داود باشا	٧٢
١٦٨ البصرة في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني ..	٧٣
١٦٩ البصرة بعد إعلان الدستور	٧٤
١٧٠ سقوط البصرة بيد البريطانيين	٧٥
١٧١ المصادر والمراجع	٧٦
١٧٢ الفهرست	٧٧



٢٠٠١ / ٧٦٩٥	رقم الإيلاع
977 - 341 - 028 - 5	I. S. B. N الترقيم الدولي

Bibliotheca Alexandrina



0353011

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر
ت: ٥٩٢٢٦٢٠٠ فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧